قراءات نقدية في فلسفة الدين
الدين- التعددية الدينية- التجربة والمعرفة الدينية
نماذج

م.م. علي عبد المحسن كريم
جامعة الكوفة- كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم
{وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ }النحل٥٢

{كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً }الإسراء٢٠

المقدمة

- **الدافع من وراء هذا البحث:**

السبب الذي يدعونا إلى البحث في هذه المواضيع الدقيقة والشائكة للغاية، ينطلق من رؤيتنا القائمة على أساس فهمنا لمشكلات العالم، هذه المشكلات تنبثق من إطار ديني – عقائدي [1] في أعمها الأغلب وأن ظهرت بصور مختلفة- سياسية- و- اقتصادية – و-اجتماعية ونحوها-، ظهرت هذه المشاكل من قبل أتباع الأديان بعد تفسيرهم للنصوص الدينية وفق رؤية بشرية، ومرجعيات ثقافية متعددة ذات أسس مسبقة، ولدت هذه التفسيرات الاختلاف الذي تحول إلى خلاف، ومن ثم إلى حروب وصراعات مريرة، تحملت فيها الإنسانية أكثر مما تحتمل، والحل يكمن في فهم الدين وفهم التجربة الدينية والمعرفة الدينية والتمييز بينهم على أسس موضوعية ، أي أن الفصل موضوعي وليس لفظي ، هذا التمييز سوف يولد بالضرورة التعددية الدينية، بناء على أساس التجربة الدينية، النابعة من قراءة النصوص المقدسة، كملاذ أخير للإنسانية كي تخرج من نفق الصراع الدامي وترجع إلى طريق الرشاد.

الكتب السماوية (القرآن أنموذجا) تؤكد فكرة الصراع هذا نتيجة الاختلاف في الفهم والتفسير، فالقرآن يصور هذه المشكلة بنصوص عديدة منها:

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }البقرة٢٥٣ .

{وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}الجاثية١٧.

{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ }آل عمران١٩.

أن فهمنا للدين يجب أن يكون مدعاة لكل خير، بينما نرى أن فهمنا الآن هو مدعاة لكل ضرر، فالمتدينون بدين أو شريعة معينة يكّفرون كل المؤمنين بشريعة تختلف عن شريعتهم، ويعتقدون بأن الهداية والحق عندهم دون غيرهم، بل أن أتباع الدين الواحد يكفر بعضهم بعضا بسبب الاختلاف في فهم وتفسير النصوص الدينية، مع أن المصدر واحد، بينما التفسيرات غير معصومة البتة، كونها تنطلق من تجارب إنسانية تخضع لظروف يعيشها المفسر، قد تسوء وقد تتحسن، وبمرجعيات فكرية جاهزة ومسبقة تشكل سورا دوغمائيا، يرى الساكن خلفه الأمور بنظرة واحدة فقط، هي نظرة جوانية بينما لا ينظر ولا يهتم أن ينظر إلى الأمور نظرة برانية، أما خوفا أو جهلا أو تزمتا برأيه، القرآن لا يساعد على هذه النظرة، بل يساعد على نظرة أعمق وأكثر شمولية ، فهو لا يقر بالدوغمائية ولا بالتكفير ولا بالانحصار (٢) أبدا كما في قوله تعالى:-

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ

شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُـوَكُمْ فِـي مَـا آتَـاكُم فَاسْـتَبِقُوا الخَيْـرَاتِ إِلَـى الله مَـرْجِعُكُمْ جَمِيعـاً فَيُنَبِّــئُكُم بِمَــا كُنــتُمْ فِيــهِ تَخْتَلِفُــونَ }المائدة٤٨.

{شَـرَعَ لَكُـم مِّنَ الـدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الـدِّينَ وَلَـا تَتَفَرَّقُـوا فِيـهِ كَبُـرَ عَلَـى الْمُشْـرِكِينَ مَـا تَـدْعُوهُمْ إِلَيْـهِ اللَّـهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }الشورى١٣ .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّـهِ فَتَبَيَّنُـواْ وَلاَ تَقُولُـواْ لِمَـنْ أَلْقَـى إِلَـيْكُمُ السَّـلاَمَ لَسْـتَ مُؤْمِنـاً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }النساء٩٤.

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }البقرة٢٨٥.

نفس الذي ذكرنا سابقا رسخه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، في فترة توليه منصب الخلافة، وفي عهده الشهير لمالك الأشتر، وفي تصرفاته وسلوكه مع الفرق والأديان الأخرى التي شكلت الدولة العربية – الإسلامية آنذاك [٣] تلك الفترة التي تعد أساسا لتشكيل الدولة الإسلامية- بمعناها المدني- أي التي تحكم بقانون مدني مستمد من كتاب الله وسنة رسوله، وليست حكومة دينية دوغمائية تحكم بالحديد والنار ومحاكم التفتيش ، فلا وجود لحكومة دينية في العالم، ولن تقوم مثل هذه الحكومة أبدا، لأنها معدومة الأسس والقواعد أصلا، حتى الإمام المهدي المنتظر(عليه السلام)، سوف يؤسس لدولة مدنية يحكمها القانون السماوي، والدين الحقيقي هو الذي سوف يسود فلا وجود لحكومة دينية إسلامية، كالتي تدعيها بعض بلدان العالمين العربي والإسلامي.

يحوي هذا البحث على مبحثين فيهما عدة مقاصد.

المبحث الأول تحت عنوان الدين:- وفيه

١- المقصد الأول: المصطلح.
٢- المقصد الثاني:الغاية من وجود الدين.

المبحث الثاني:التعددية الدينية : وفيه

١- المقصد الأول: تحديد مفهوم التعددية الدينية والتجربة الدينية حسب رؤيتنا.
٢- المقصد الثاني: فلسفة الدين الجديدة والحاجة للتغيير.

المبحث الأول: الدين.

١- المقصد الأول:المصطلح:

مصطلح الدين ومحاولة تعريفه أمر شائك بحسب النظر الأولي، ولذلك نرى تعدد التعريفات التي نحتت حوله، لغرض الوصول إلى تعريف مقنع، ويتفق عليه الجميع ولكن دون جدوى، لآن كل التعريفات تصب في مصلحة المعتقدين بالدين بحسب اختلاف نظرتهم له، وتبعا لتعدد التجربة الدينية التي تبنى المعرفون أطروحاتها، فالمسلمون مثلا لهم تعريف يختلف عن تعريف اليهود والمسيحيين والبوذيين والصابئة، بل يختلف أتباع الشرايع في تعريف مفردة الدين، وكذلك الأمر بالنسبة للمعرفة الدينية والتعددية الدينية.

نفترض ابتداء تعريف للدين يقوم على أساس قاسم مشترك بين الجميع، هذا القاسم المشترك هو غاية الدين- وهي هنا الهداية- ، فلا يختلف أحد بأن غاية الدين هي الهداية، هداية الجميع إلى الطريق الصحيح أي طريق الله ،وأن تعددت السبل والطرق إلى تلك الهداية، فأن الطرق إلى الله بعدد أنفاس البشر، فلا انحصار للهداية عند أحد أو أن الطريق الذي سلكه هو الصحيح دون غيره،لأن الهداية وأن كانت ذات منشأ ديني إلا أنها تخضع للتجربة الشخصية، قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات١٣.

{قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة٣٨.

وعليه نستطيع أن ننطلق من هذه الحيثية لمعرفة الأساس الذي ننهج فيه لمناقشة هذه المفردة بالتحديد – أي الدين-، فا لهداية هي غاية الدين أي دين كان، سواء ذلك الذي بقي منه شيء كالأديان السماوية الثلاثة الموجودة الآن، أم لم يبق منها شيء، بل أن كل دين موجود على الأرض له أساس ما ورائي - أي منشأ سماوي وليس أرضي- حتى تلك

الأديان التي تنعت بالوضعية، فالبحث يكشف أنها ذات منشأ سماوي وليس أرضياً كما قد يظن، ولكن لبعد الزمن عن النبي صاحب الدعوة ، غير فيها أتباعه ومريديه بعض المفردات وان ظل هدفه واحداً وهو الهداية، قال تعالى:

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} البقرة٢١٣ .

نستطيع أن نقول أن الهداية بما هي هي ، ليست خاصية موجودة عند مجموعة من الناس أو فرد من ألأفراد ، وهي بالتالي لا تنحصر في تجربة دينية واحدة لمجموعة بشرية واحدة أو فرد واحد، هذا الأمر لا يمكن المساعدة عليه – أي الانحصار–، فالسيرورة والصيرورة البشرية وتراكم التجارب على مر العصور والقرون، يعطي انطباعا واقعيا بعدم إمكانية الانحصار، أي حصر الهداية التي هي غاية الدين في تجربة دينية واحدة ولعدة أسباب:

١- تعدد التجارب الدينية بعدد الشعوب التي سكنت الأرض، ولا تزال هذه التجارب مستمرة ما بقي الناس على الأرض.

٢- كل التجارب الدينية تؤكد على غاية واحدة من الدين إلا وهي الهداية، وبالتالي فلا توجد الهداية عند مجموعة بحد ذاتها، أو لهذه الهداية ضابطة معينة عند مجموعة معينة، بحيث المخالف لهم يعد شاذا، بل هي موضوعة نسبية وليست مطلقة، وبالتالي تحدها التجربة الدينية في بعدها البشري من كل جهة.

٣- وحدة صدور الأديان، أي أن المصدر واحد في كل الأديان بدون استثناء. (٤)

٢- المقصد الثاني: الغاية من وجود الدين:

قد ألمحنا سابقا إلى أن الغاية من الدين هي الهداية لكل البشرية، وهنا سوف نتكلم عن هذه الغاية، من خلال رؤية بسيطة للغاية، تساعدنا فيما بعد على التنظير لموضوعة التعددية الدينية وفق رؤيتنا الخاصة بها.

في الحقيقة أن الدين بما هو هو لا تغيير فيه، أعني أن الدين الذي أراده الخالق ووضح مقصده بقوله: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}آل عمران١٩.هو نفسه لدى الأنبياء جميعا لا اختلاف فيه أبدا، إنما ورد الاختلاف في التفاصيل الأخرى وتطورت مع الزمن لتسد حاجة الإنسان والمجتمع من هذه الجهة، وهو- أي الاختلاف والتطور- أمر واقعي تفرضه الطبيعة البشرية، لذا وضحه الخالق سبحانه بقوله: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}المائدة٤٨.

هذه الشرعة وهذا المنهاج هو الذي ينشأ منه الاختلاف، فيما بين المتدينين بالشرايع بصورة عامة ، بل بين أتباع الشريعة الواحدة، كما في الشريعة الإسلامية بين السنة والشيعة، وفي المسيحية بين الأرثوذكس والكاثوليك وبينهم وبين البروتستانت مثلا، وهكذا الأمر في باقي الأديان أو الشرايع، وهو أمر صحي للغاية من جهة الاختلاف ، وغير صحي من نواحي أخرى، فبما أن الخلاف واقع بين الناس بسبب التفاصيل لا بسبب الكليات،أو بعبارة أصولية الخلاف واقع في الصغرى أما الكبرى فمسلمة، فموضوع الدين والغاية منه تصبح واضحة للغاية، إذ أن الاختلاف إنما وقع في الطرق المؤدية إلى هذه الغاية لا في نفس الغاية، ومقولة انحصار الحق وطريق الغاية الحقيقي، عند جهة واحدة تصبح غير عملية للغاية، إذ أن الدين بما هو كل، أو مجموعة قواعد عامة كلية، لا يختلف اثنان في ما يؤديه، أما الشريعة فالأمر مختلف- وأن كانت الشريعة هي انعكاس للدين ولقواعده-، ولا أجد شريعة الآن وحتى تلك التي يدعى بأنها محرفة تقول أو تأمر بالكذب أو بالزنا أو بشرب الخمر أو بقتل النفس المحترمة، أو ما إلى ذلك من الموبقات، التي ينفر منها الإنسان بطبيعته الإنسانية وفطرته، قبل أن

تأتي التشريعات الإلهية لتحريمها، - أي قبل أن يدرك حرمتها من قبل المشرعين (عليهم السلام)-.
تكمن المشكلة إذا في إسقاط مفردات الشريعة على كليات الدين، فالتوحيد مثلا قضية كلية لا مجال للشك فيها بين الأديان كافة،(٥)، ولكن الصوم كمفردة تختلف بين شريعة وأخرى، ولكنه يبقى طاعة في النهاية، سواء أصامه الناس أم لم يفعلوا، وسواء أكان هذا الصوم في شهر رمضان كما عند المسلمين، أم في شهر أخر كما عند النصارى أو اليهود أو غيرهم،فالأصل الذي بني عليه الصوم واحد وهو الإيمان بالله وطاعته: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة١٨٣..
أما أن صومي أنا صح وصومك أنت خطأ، وأنا أفطر عند دخول الليل وأنت تفطر عند سقوط قرص الشمس، وفلان المسيحي يصوم نصف الليل إلى نصف النهار،ولا يتناول المنتجات الحيوانية أو مشتقاتها، فهذا من الجزئيات التي نشب الخلاف بسببها، وسبب نشوء الخلاف هو تعدد القراءات بين علماء الأديان للنص الديني، واستنباطهم الحكم منه بحسب الظاهر، لا بحسب الواقع إذ أن الواقع عند صاحب الشريعة نفسه المبلغ إليه عن طريق الوحي- وما بين أيدينا هو فهم للعلماء، قد يصيب وقد يخطأ، فلا مقدس في البين،كون الموجود الآن يمثل المعرفة الدينية، التي هي قراءة للنص الديني وفهم لظواهره فحسب، ولكن هذا الاختلاف أدى إلى فظائع وجرائم ارتكبت باسم الدين، والدين منها براء ، كل هذا بسبب حزمة من علماء الدين، يظهرون في كل وقت ليفرضوا رؤيتهم وقراءتهم للدين على الناس، وهذه هي الطامة الكبرى هؤلاء هم أشد دمارا من الأسلحة الذرية والكيماوية، التي تسمى بأسلحة الدمار الشامل (٦) .
الذي أريد إيصاله إلى القارئ هو أن الدين بما هو دين لا خلاف فيه أبدا، لوحدة المصدر، والاختلاف يكمن في الشرايع - رغم وحدة مصدرها أيضا- إلا أنها نزلت بحسب الحاجة إليها وبحسب تطور هذه الحاجة، وسبب الاختلاف نشأ بسبب تعدد

القـراءات لنصـوص هـذه الشـرايع، وكثـرة الاجتهـادات بحيـث لا تجـد مـذهبين في أي ديـن، متـوافقين علـى مسـألة مـا إلا مـا نـدر، بـل لا تجـد فقيهين متفقين ومتطابقين مائة بالمائة في المذهب الواحـد..{وَأَنزَلْنَـا إِلَيْـكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِـنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْـهِ فَـاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْـوَاءهُمْ عَمَّـا جَـاءكَ مِـنَ الْحَـقِّ لِكُـلٍّ جَعَلْنَـا مِنكُمْ شِـرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَـوْ شَـاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُـوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْـرَاتِ إِلَـى الله مَـرْجِعُكُمْ جَمِيعـاً فَيُنَبِّـئُكُم بِمَـا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }المائدة٤٨، وهـذا أمـر صـحي بحسـب وجهـة نظـري، فالإنسـان حـر في إتبـاع أي ديـن يريـد وأي مـذهب يعتنـق يتناسـب معـه، وليس من حق أحد منعه من ذلك : {لاَ إِكْرَاهَ فِي الـدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِـنَ الْغَـيِّ فَمَـنْ يَكْفُـرْ بِالطَّـاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَىَ لاَ انفِصَـامَ لَهَـا وَاللّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ}البقرة٢٥٦ .

وليس من حق أحد التمسك بمقولة انحصار الحق في جهة واحدة فقط، فـلا يعـرف ذلـك إلا الله سـبحانه وتعالى، فاستباق الخيرات الوارد في متن الآية أعلاه لا يعطي الخير لفئة واحـدة، بـل هـو لسـان جمعـي عـام وهــو مقتضــى الرحمــة والعــدل الإلهي، بل معنى هذه الآية يشير إلى عدم الانحصار: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنـدَ اللَّـهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِـيمٌ خَبِيرٌ}الحجرات١٣.

فـالتقوى الـتي هـي ميـزان نـوعي في قيـاس الهـدى، لم تنحصـر في هـذه الآية الشريفة ولا في غيرها،بفئة معينة من النـاس،وكما نوهنـا أنه مقتضـى الرحمة والعدل الإلهي، فالمسلم له الحق في البقاء على إسلامه، وعلى المذهب الذي يراه قريبا وموصلا إلى النجاة، وليس من حقه جبر الآخرين علـى التمسـك بهـذا الـدين وهـذا المذهب، وليس من حقه تصدير هذه الأفكـار أو الإجبـار عليهـا، والأمـر كـذلك مـع سـائر الملـل والمـذاهب، فلـيس مـن حـق أحـد منـع رزق الله الذي هو الخير كله والمتمثل بالهداية، وليس من حق احد أن يكون بديلا عن الله، في حكمه وعلمه وأن يدعي ما ليس بحق.

{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ }يونس٥٩.

{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }النحل١١٦.

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ }النور١٥.

فالاختلاف هو سنة من سنن الله في الأرض، فكيف يمكن حصر الاختلاف الذي هو سنة كونية، بيد أحد ويكون هو الحق دائما؟

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ }الروم٢٢.

لذلك فمسألة الهداية وانحصارها بيد مجموعة أو فئة، أمر لا يمكن المساعدة عليه البتة، كما لا يمكن المساعدة على تبني مقولة أن الدين بمجموعه، لدى فئة واحدة من الناس، فكل الأنبياء كانت لهم أجزاء من الدين-الشريعة- بحسب الحاجة إليها وبحسب الظروف والبيئة والمجتمع الذي يعيشون فيه، ومتطلبات تلك المجتمعات، نعم يزعم المسلمون والمسيحيون واليهود على أنهم أصحاب الحق الشرعي في الدين،وكل واحد منهم يدعي هذا الادعاء بصورة منفصلة عن الأخر، بحيث يعتقد اليهود بأن الدين والشريعة ختمت عندهم وأن موسى(عليه السلام) قد أنجز وعد الله، ويدعي النصارى مثل ذلك أيضا كما المسلمون،وللخروج من أزمة الانحصار، أي انحصار الحق أو ما نعبر عنه بالحقانية، ومسألة تعدد الأديان واختلاف الشرايع، نرى كما يرى غيرنا أن الحل يكمن في مقولة التعددية الدينية،وقد طرحت الكثير من النظريات حول هذه المسألة (٦) ولكن لنا هنا رأي قد يختلف بعض الشيء سوف نستعرضه الآن.

المبحث الثاني
التعددية الدينية

١- المقصد الأول: تحديد مفهوم التعددية الدينية والتجربة الدينية حسب رؤيتنا:

تعددت الآراء حول موضوعة التعددية الدينية وحول تحديد مفهوم هذا المصطلح، من الممكن هنا أن نفترض ثلاثة مدارس، وجهت عنايتها للبحث في هذا الموضوع، هذه المدارس لها ثلاثة أراء مختلفة عن التعددية الدينية كمبدأ:

أولا: المدرسة الرافضة لفكرة التعددية الدينية:

تذهب هذه المدرسة إلى انحصار الحق في مبدأ واحد،هو الذي لو أتبع يحصل معه النجاة من العذاب والحساب، والفوز بالجنة يوم المعاد.- أي أن مذهباً معيناً تجتمع فيه المنجزية والمعذرية،(٧) وهذا الرأي منتشر بين أوساط المتدينين المتشددين كافة بدون استثناء، أي أن جميع المتعبدين بدين أو مذهب معين، يعتقدون بهذا الاعتقاد ويرتبون الأثر عليه، سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود أو غيرهم.... {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }البقرة١١٣.

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}المائدة١٨.

ثانيا: المدرسة الوسطية:

ترى هذه المدرسة أن الأديان جميعا مصدرها من مشكاة واحدة لا فرق بين دين وأخر، إنما يكمن الفرق في الشرايع،أي في الجزئيات التعبدية العبادية والمعاملاتية لأتباع كل شريعة، وبالتالي فإن التعبد بدين معين وشريعة معينة، لا يخرج صاحبه عن الحق، بل هو على صواب فيما يعتقد ويدين، وليس له أن يجبر الآخرين على الالتزام بدينه وشريعته، فالناس أحرار فيما يدينون وفيما يعتقدون وحسابهم على الله : {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٥٦.

وعليه فالحقانية ليست منحصرة عند أحد دون الأخر، بل الجميع على حق فيما يدينون وفيما يتعبدون.

ثالثا: المدرسة المؤمنة بفكرة التعددية الدينية:

هذه المدرسة تعاكس الأولى وتناظر الثانية، فهي عكس الأولى من حيث الأطروحة تماما، وتناظر الثانية ولكنها

تفترق عنها في مجالات متعددة، إذ تفترق هذه المدرسة عن المدرستين السابقتين، بأن فيها عدة اتجاهات نذكرها فيما يأتي:

١- الاتجاه الأول: يؤمن بفكرة التعددية ولكنه يضع دين وشريعة معينة، هي الخاتمة والمهيمنة على كل الأديان والشرايع، فالمسلمون يعتقدون بخاتميه شريعتهم ونبيهم، وكذلك النصارى واليهود، يعتقدون بأن شريعتهم هي الخاتمة، هذا الاعتقاد بحقانية الأديان الذي يتعبد به المسلمون وكذلك باقي الأديان الأخرى، لا يعني جواز التعبد بأيها كان، بل لابد من الاعتقاد والتعبد بدين واحد فقط ،نعم هذه الأطروحة واضحة عند المسلمين بصورة خاصة،فهم يعتقدون بحقانية كل الأديان، ولكنهم يعتقدون بخاتمية دينهم وتمامية شريعته، ولهم أدلة عديدة من القرآن والسنة،بعكس باقي الأديان التي لا تعتقد إلا بحقانية دينها وشريعتها،ومن أدلة المسلمين على حقانية دينهم وعلى وجوب التعبد، به مع اعترافهم بالأديان الأخرى كشرط عقائدي هي:

{وأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْه منَ الْكتَاب وَمُهَيْمناً عَلَيْه فَاحْكُم بَيْنَهُم بمَا أَنزلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ منَ الْحَقِّ لكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شرْعَةً ومنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَلَكن لِّيَبْلُوَكُمْ في مَا آتَاكُم فَاسْتَبقُوا الخَيْرَات إِلَى الله مَرْجعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُم بمَا كُنتُمْ فيه تَخْتَلفُونَ }المائدة٤٨.

{وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَم ديناً فَلَن يُقْبَلَ منْهُ وَهُوَ في الآخرَة منَ الْخَاسرينَ }آل عمران٨٥.

{وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن افْتَرَى عَلَى اللَّه الْكَذبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَام وَاللَّهُ لَا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ }الصف٧.

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخنْزير وَمَا أُهلَّ لغَيْر اللّه به وَالْمُنْخَنقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبحَ عَلَى النُّصُب وَأَن تَسْتَقْسمُواْ بالأَزْلاَم ذَلكُمْ فسْقٌ الْيَوْمَ يَئسَ الَّذينَ كَفَرُواْ من دينكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْن الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ ديناً فَمَن اضْطُرَّ في مَخْمَصَة غَيْرَ مُتَجَانف لِّإِثْم فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ }المائدة٣.

إلى العشرات من الأدلة التي يعتمد عليها المسلمون،في أثبات حقانية دينهم وشريعتهم، أما الأدلة التي توجب عليهم الاعتقاد بحقانية الأديان الأخرى والأنبياء السابقين فهي كالآتي:

قوله تعالى:

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }البقرة٢٨٥.

قوله تعالى:

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }العنكبوت٤٦.

وعليه فمسألة الاعتراف بالأديان الأخرى، لا تشكل مشكلة لدى المسلمين، مثلما هي عند غيرهم، ولكن المشكلة تكمن في عدم اعترافهم بحقانية التعبد بدين غير دينهم، شأنهم شأن باقي الأديان الأخرى، مع الفرق الذي ذكرناه والذي يعد مائزا لهم عن غيرهم.

٢- الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي يرى جواز التعبد بأي دين وشريعة، كونها تؤدي غرضا واحدا وهو الهداية إلى الله،أي أن المعذرية ليست خاصة بالتعبد بدين أو شريعة معينة،بل أي شريعة يتم التعبد بها هي منجية ومعذرة، ونرى هذا الاتجاه ينشط لدى متصوفة الإسلام،(٨)، وغيرهم من متصوفة باقي الأديان، كما ينشط لدى التنويريين من أتباع الأديان كافة، والذين يعتقدون بان الدين له هدف واحد، وهو الهداية والوصول إلى الله، وأن الانشغال عن الله بالبحث عن الفرق بين الأديان، وأيها الحق والواجب أتباعه مضيعة لجوهر الدين الحقيقي،والذي أنزله الله لطفا بعباده وهاديا لهم إلى طريق الصواب، ويستدل هؤلاء بالعديد من آيات القرآن الكريم والتي تتناول هذه الموضوعة بحسب قراءتهم لها. مثال قوله تعالى:

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }الأعراف٣٣

ووجه الاستدلال بها أن كل الأديان تحرم الفواحش وتحرم الشرك بالله تعالى والقول بغير علم الخ...،

وقوله تعالى:

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }الحج٣٤.

فهنا التعدد واضح- لكل أمة- مما يشير إلى وحدة الدين – فإلهكم إله واحد- بين الجميع.

وقوله تعالى:
{وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }البقرة١٦٣. ووجه الاستدلال أن الله هو رب الجميع بلا استثناء وعليه فما يصدر منه فهو للجميع.

إلى العديد من الآيات الكريمة التي يستدل بها الذاهبون لهذه المقولة، وجواب كل ما مر،هو نسخ الشريعة ككل في عقيدة المسلمين، التي تعني عدم جواز التعبد بغير الشريعة التي جاء بها النبي محمد(ص).

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ}المائدة٤٨.(٩)

٣-الاتجاه الثالث: رؤيتنا لمقولة المعرفة الدينية والتعددية الدينية: ينبغي أن نؤطر لرؤيتنا حول المعرفة الدينية بإطارين ينبثق عنهما مقولة التعددية :

١- الإطار الأول: ونطلق عليه البعد الاجتماعي للمعرفة الدينية.

٢- الإطار الثاني: ونطلق عليه البعد الإنساني للمعرفة الدينية.

- الإطار الأول: ليس الدين مضافا إلى المجتمع من خارجه،(١٠)،بل يشكل الدين أحدى تمظهرات المجتمع،فحاجة المجتمعات الإنسانية إلى الدين ليست آنية،بل لها عمقها التاريخي المتمظهر بالتجارب الدينية،سواء تلك التجارب النبوية ذات البعد الوحياني، أو تلك التجارب ذات البعد الإنساني، التي هي نتاج للتجربة الإنسانية، كقارئة للنص الديني ومستنبطة لأحكامه، وفق معطيات الحركة الفقهية في المجتمع، كلا التجربتين تسيران معا في سيرورة وصيرورة واحدة متسقة،وأن تقدمت التجربة البشرية زمانا،(11)وهي كذلك ليست حاجة نفسية أيضا، بمعنى أن الإنسان يحتاج إلى الدين وإلى الأمور الغيبية ليشعر بالاطمئنان على نفسه ومستقبله، بل حاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية نابعة من ذات الإنسان نفسه، ولا تنفك عنه أبداء، نظير حاجته للطعام والشراب والمسكن ونحو ذلك، لذا نلاحظ أن الشعوب البدائية التي لم يصل إليها سفير السماء، ابتدعت دينا يلاءم حاجتها ويسد تلك الثغرة، التي لا تسد إلا بوجود دين يلجأ إليه الإنسان لسدها،هذا البعد الاجتماعي نراه في حركة الأنبياء (عليهم السلام) وفي طريقة تعاطيهم مع المجتمع:

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة٢١٣.

لذا فإن الأنبياء في حركتهم،كانوا يرون أن الناس لديهم من العقائد الشيء الكثير،والكثير من هذه العقائد ليس بالسهولة التخلي عنه، لأنها أصبحت جزء من نسيجهم الاجتماعي والفكري والثقافي، وبالتالي فالتعاطي مع الأطروحة الجديدة التي يأتي بها النبي ليس بالأمر الهين،لذا كان التعاطي الاجتماعي وفق المعطيات الآنية لصناعة ثقافة دينية،وبناء جماعة مؤمنة في حركة الأنبياء على مر التاريخ هو الغالب، بحيث نلاحظ أن النبي محمد (ﷺ) كان يتعاطى في حركته مع المجتمع المشرك في مكة، بالكثير من الثوابت القبلية التي يعرفونها، لينتقل من خلالها لترسيخ أطروحة السماء التي جاء بها، كاشتراكه في حلف الفضول مثلا (رغم فضيلة الحلف ولكنه نشأ في بيئة وثنية)، ونلاحظ على سبيل المثال تعاطي النبي يوسف (عليه السلام) مع مجتمعه، وكيف كان يتعامل بنفس الطريقة التي يستخدمها المصريون آنذاك، لترسيخ أطروحة السماء فيما بعد. وهكذا نلاحظ كل سير الأنبياء والمصلحين، كانت تأتي لتتعاط مع المجتمع، باعتبار أن الدين هو لهم وجزء من كيانهم ونسيجهم الاجتماعي. (١٢)

ولكن هذا لا يعني أن المسيرة كانت ودية وأن الأرض كانت معبدة، وأن هذا التعاطي بين الأنبياء وبين مجتمعاتهم كان يسير بسهولة ويسر البتة، بل كان صعب للغاية كما هو واضح، وبعد رحيل الأنبياء عن مجتمعاتهم،ظهرت ظاهرة التجارب الدينية كقراءة للنص الديني،الذي جاء به النبي، وتعددها بين أتباع الدين الواحد، فتشظى الدين الواحد إلى عدة مذاهب بل نفس الدين إلى عدة أديان، وهذا بطبيعة الحال ظاهرة طبيعية ومتوقعة، فقراءة النصوص الدينية ومحاولة استنطاقها وفق معطيات علم الأديان-العقائد – الفقه-الخ-. تؤدي إلى هذه الظاهرة،وهذا الخلاف الذي يؤدي إلى الاختلاف، بين أتباع الشريعة الواحدة، وبينهم وبين باقي أتباع الشرايع الأخرى، لسنا هنا بصدد بحث استردادي لهذه الظاهرة، بل نحن في صدد البحث عن جذور هذه الظاهرة ووضع العلاج لها، وهذا العلاج يتم من خلال الفصل بين الدين والتجربة الدينية والمعرفة



الدينيـة، أي فصـل المقـدس عـن غـير المقدس،وهذا الفصل ليس لفظيا وأدبيا، بـل هـو فصـل علمـي يخضـع للموازين العلمية،هذا الفصل يقره القرآن الكريم بقوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }التوبة٣١.

لـذا فـإن مـا يوجـد الآن بـين أيـدينا مـن مـدونات في الفقـه والأصـول والعقائـد ونحوها، هي نتاج لهذه الظاهرة، أي نتاج للمعرفة الدينية في بعدها البشري،والتي نتجـت عـن تعـدد التجـارب الدينيـة البشرية، فكل عالم دين له رأيه الخاص في الشريعة - وهو يعد بنفسه تجربة دينية قائمـة-، والـذي توصـل إليه مـن خـلال اجتهاده، أي البحث في الأصول لغرض أنتاج الفروع، وهو بالتالي غير قابل لأن يتعبد برأي مجتهد وعالم غيره ، بـل يـرى في نفسه أنه الأعلم والأفهم للنصوص الدينية، بل يحرم المجتهد على نفسه تقليد غيره من المجتهدين، بل هو ملزم بتقليد نفسه هو فقط،لاعتقاده بانحصار الحق في رأيه، وهذا أمر ليس بغريب عن علماء الـدين بـل هـو أمر مطرد [١٣] منـذ ظهـر الـدين ونـزل إلى الأرض إلى أن يـرث الله الأرض ومـن عليهـا، وهـذا كلـه يقـع في إطـار إزاحـات يكونهـا الـذهن الفقهـي، الــذي يقــع فريســة أحكــام مســبقة وجـاهزة،تكمـن المشـكلة إذا في أن هنـاك إيحاء من القائمين على المؤسسة الدينية، إلى المجتمع بأن المعرفة الدينية- التي هي إنتـاج بشـري- هـي نفسـها الـدين، أي أن النتـاج العلمـي لعلمـاء الـدين – المعرفـة الدينية- هو نفسه الدين، وليس مرآة له أو انعكاس له أو قراءة قد تصيب الواقع أو تخطئه،هـذا الإيحـاء قـد يكـون مـن ضـمن بعض المنتمين للمؤسسة الدينية من الطلبة والخطبـاء، وقـد يكـون مـن نفـس بعـض العلماء، أقول هذا الإيحاء سبب وسـوف يسـبب المشـاكل الاجتماعيـة الـتي نراهـا الآن، والــــتي قرأناهــــا في التــــاريخ، والمتمظهـرة في تقـديس الـذات ورفـض الأخـر،ففهـم بعـض المنظـرين المحـدثين والمعاصرين هـذا الإيحـاء على أن السبب في المشـكلات الاجتماعيـة هـو الـدين،مما أدى إلى انكفائهم عن الدين وعن المعرفة الدينيـة جملـة واحـدة، بينمـا الحقيقـة أن السـبب في المشـكلات الاجتماعيـة هـي المعرفة الدينية البشرية،الناتجة عن التجربة الدينية وليس الـدين، فالـدين لـيس منشـأ للاختلاف والتقاتل بل العكس تماما[١٤].

نعني بالتجربة الدينية إذا، تلك التجربة التي حصلت أحداثها ووقائعها في زمنين

متتاليين، زمن الأنبياء وزمن أتباعهم، أي هناك زمنين للتجربة الدينية ،الأول أنتج الـدين -المعرفـة الدينيـة في بعـدها الوحيـاني- وهـو زمـن التجربـة النبويـة، والثـاني أنـتج المعرفـة الدينيـة في بعـدها البشـري، وهـو زمـن أتبـاع الأنبيـاء التجـارب النبويـة تجـارب معصـومة مـن الخطأ والزلل،لآن القائم والمشرف والمنفذ لها هو نفس النبي،والنبي بواقع الحال معصوم،(١٥) أما التجربـة البشـرية فهـي المعرضة للخطأ والصواب، وهنا نقتبس هـذا الـنص مـن أحـدى المؤلفـات المهمـة المعاصرة، لأحد كبار علماء الدين (١٥) المقصـود مـن أن رأي الأعلـم أقـرب إلى الواقع نوعا بالنسبة إلى غير الأعلم، هو أن احتمـال الخطـأ في تكـوين المسـائل الأصـولية علـى وفـق شـروطها العامـة وتطبيقها على عناصرها الخاصة في غير الأعلم نوعا أكبر من احتمال الخطأ في الأعلم في المسائل الخلافية بينهما، وأما الاختلاف بين الأعلمين في عصر واحد موجود فضلا عن عصور متعددة باعتبار إن الأعلم قد يخطأ حيث أن العصمة لله تعـالى ولرسـوله(ص)وللائمـة الأطهـار(عليهم السلام) دون غيرهـم. هـذا نظير الأعلـم في الطـب فـأن قولـه أقـرب إلى الواقـع مـن قـول الطبيـب غير الأعلـم في المسألة الخلافية بينهما).. هـذا الكلام هـو عين الموضوعية، وهو ما عنيناه عندما قلنا أن التجربة الدينية البشرية والمتولد منها، أعني المعرفة الدينية البشرية غير مقدسة، أي أنها عرضة للخطأ والصواب،وليست غير محترمة، فهي نفس العلوم الأخرى، أي أن المعرفـة الدينيـة بكـل علومهـا هـي فرع من العلوم والمعرفة الإنسانية،وليست هـي كـل العلـم والمعرفـة، وبالتـالي فهـي خاضـعة للمـوازين الموضـوعية لتلـك العلوم،وللموازين الموضوعية الخاصة بها كعلـم، لـه استقلالية اختصاصية، ويخطأ من يعتقد أنها فوق العلوم الأخرى، كيف وهي من صناعة البشر، والبشر معرضـون للخطـأ والصـواب، لا يقـال أن المعرفـة الدينية البشرية هي مرآة الـدين، وبالتـالي فـإن شـرفها مـن شـرف موضـوعها، لأنـه مدفوع بأن الدين ليس صناعة بشرية بـل هو إبداع رباني، بينما مـا بـين أيدينا الآن هو قراءة لذلك الإبداع لا الإبداع نفسه، وبالتـالي فهـو يخضـع لمـوازين العلـوم الإنسانية الأخرى،وعليه فقد أخطأ أيضا مـن أعتقـد أن الـدين هـو سـبب المشـاكل كلها ومنشأ الاستبداد كله، فالـدين لـيس كـذلك بـل المعـارف والتجـارب البشـرية الدينية هي سبب ذلك،وتقديس المعرفة الدينية البشرية وجعلها بمنزلـة كلمـات أله

وتحريم مخالفتها إلى ما هو أقرب للواقع [١٦]، وهي عند جميع أتباع الأديان بلا استثناء إلا من رحم ربي، لذا فإن عزوف الكثير من الناس عن الدين في وقتنا هذا، بل في كل وقت يرجع إلى عدة أسباب ،واحدة منها هو عدم تمييزهم بين قول العالم الديني، وبين قول الدين، فالأول يقرأ النص الديني ويستنبط منه، بناء على خلفيات موروثة ومحددة، مع احتمال الخطأ والصواب، بينما الثاني لا خطأ فيه البتة بل هو عين الحقيقة والواقع، فالمجتمع الآن يعاني من ترهل الأفكار وتشتتها، بحيث لم يعد يميز بين الصدق والكذب،إضافة إلى فوضى الفتاوى وتصدي من لا أهلية له إلى منصب الإفتاء والقضاء بين الناس،مع سكوت القائمين على المؤسسة الدينية في أغلب الأحيان عن التصدي المباشر لمثل هؤلاء،مما ولد فوضى حقيقية يعاني منها المجتمع الآن، فضلا عن الإعلام والدعاية المضادة التي تلاعبت بعقول الكثير من الناس، كل هذا سوف يؤدي إلى انتكاسة حقيقة في المجتمع، لذا يكمن الحل في إعادة النظر في كل التجربة والمعرفة الدينية البشرية، أي إعادة قراءة التجربة بكل تفاصيلها، ومحاولة ترشيدها بحيث تلائم مستوى المجتمع الحاضر،هذه الإعادة أضحت ضرورية للمؤسسة الدينية، بحيث أن تركها أو غض الطرف عنها بحجة الحفاظ على التراث،قد يؤدي إلى تفكك المجتمع من جهة عدم التزامه بتفاصيل الشريعة،وهذا يعني خلل في النظام الذي ينبغي الحفاظ عليه، النظريات الموجودة الآن ينبغي إعادة النظر فيها سواء أكان ذلك في الفقه أم في العقائد والأصول[١٧] .

أن الهدف من إعادة القراءة هو الحفاظ على البعد الاجتماعي للتجربة الدينية النبوية، وعلى حركيتها في المجتمع،وليس الهدف منها هو الحفاظ على التجربة البشرية، أي محاولة ربط المجتمع بالدين بصورة حقيقية،بفصل التجربة البشرية عن التجربة النبوية، وتبيان ذلك بصورة مفصلة لا لبس فيها، فالعالم الحقيقي موكل بإيصال الحقيقة للناس دون شائبة، ومن ضمن مهامه تبيان حقائق الشريعة، وفصله للدين الحقيقي الوحياني عن المعرفة الدينية البشرية ،وإلا أصبحت المؤسسة الدينية مصداقا لقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} التوبة٣٤......

بينما من المفروض أن تكون المؤسسة الدينية مصداقا لقوله تعالى:

{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }المائدة٤٤

وقوله تعالى:

{لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }المائدة٦٣... كل هذه المقدمة والتي سوف تليها هي لبيان مقولتنا في التعددية الدينية.

- الإطار الثاني: نعني بالبعد الإنساني للدين هو شموله لكل النوع الإنساني بدون استثناء، أي أن الله سبحانه وتعالى، لم يميز بين أحد من عباده فيما يتعلق بالدين،والذي غايته الهداية لما فيه مصلحتهم،وعليه فإن الدين هو واسطة الله لعباده،أو بعبارة أخرى أن الدين طريق الله إلى الناس، وكيفية الارتباط به والتواصل معه، وهذا يتم من خلال سفراء بلا شك، كون الله لا يمكن أن يتعاطى مع البشر لعدة اعتبارات منها اختلاف السنخيه بينه وبين عباده، {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}الأنعام١٠٣.

لذلك – ولأسباب أخرى- جاءت مسألة السفراء (الرسل والأنبياء) بينه وبين عباده، لذلك فالإنسان هو الذي يوصل مراد الله، إلى بني نوعه عن طريق الوحي أو الإلهام أو الرؤية وهلم جرا، ولا يمكن أن نستثني مجموعة بشرية، من وجود سفير واحد أو عدة سفراء أو مبلغين عنهم،وحتى أولئك الذين يدعون عدم وصول السفارة إليهم، وصلتهم أنباء أو سوف تصلهم مستقبلا عن وجود هؤلاء الرسل والأنبياء بصورة ما،إذا الدين له بعد إنساني يتمثل في إنسانية الناقل وإنسانية المتلقي،وعليه يكون مراد الله من هذا الدين كله ما يتلاءم والحاجات الإنسانية المتعلقة بالدين.

نتقل هنا نص يفيد إنسانية الدين، أي أن الله حينما أنزل الدين أنزله ليلاءم الفطرة ولم يحده بحد معين، ولاحظ سبحانه التفاوت في الفهم الإنساني وتعدده. (إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان ، وتحصيل الاطمئنان ، كما وكيفا ، شدة وضعفا ، سرعة وبطئا ، حالا وعلما ، وكشفا وعيانا وإن كان أصل المعرفة فطريا ، إما ضروري أو

يهتدي إليه بأدنى تنبيه ، فلكل طريقة هداه الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهداية ، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، وهم درجات عند الله {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} المجادلة١١(١٧).

لذا فإن التعدد في الفهم والتفاوت في العلم سمة إنسانية طبيعية،

{ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} يوسف٧٦.

ولا يمكن أن يأتي شيء من الله يخالف هذه الطبيعة،وعلى هذا الأساس جاء الدين ونزلت الشرايع السماوية كافة.

بناء على ما تقدم نؤسس لمقولة المعرفة الدينية والتعددية الدينية البشرية، فالمعرفة الدينية بحسب رؤيتنا، هي النتاج البشري لفهم النص الديني، أو بعبارة أخرى المعرفة الدينية هي القراءة البشرية للنصوص الدينية، بغية أنتاج مجموعة من المفاهيم تشكل الإطار العام لها، وفق إزاحات معينة، والتعددية الدينية هي الأخرى نتاج لهذه القراءة المتعددة. فما بين أيدي الناس الآن من فقه وأصول ونحوهما، هي قراءة بشرية للنص الديني، ينتج عنه تعدد في الرأي يشكل التعددية الدينية، كل هذه المفاهيم هي مفاهيم جديدة تختلف عما يراد به من المعرفة الدينية والتعددية الدينية في كلمات علماء الدين وغيرهم.

هنا يتضح لدينا أن المقدس الذي لا يمكن التلاعب به هو نفس النص الذي جاء به الأنبياء، (١٨) أما نصوص الآخرين – علماء الدين- التي نعبر عنها بالمعرفة الدينية البشرية فهي ليست بمقدسة البتة، رغم كونها محترمة كعلم له خصوصياته، كونها نتاج بشري معرض للخطأ والصواب دائما، وبالتالي فهي غير مقدسة ولا يمكن افتراض قدسيتها أبدا، لمخالفة ذلك للأصل والعقل، بل مخالفتها لنص القرآن الكريم:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }التوبة٣٤.

أن تقديس أي شيء إنما هو فكرة إنسانية عن مجهول، أي أن الناس قد تقدس الأشياء بناء على مجهولية هذا الشيء،فالناس حينما لا يدركون ماهية شيء ما، يقدسونه ويضيفون حوله هالات من القدسية،وينسجون حوله وله العديد من القصص والأساطير،وكل هذا منبعه الجهل أو عدم المعرفة، لا ينكر أن الحقائق المقدسة – الله – النبوة مثلا ونحو

ذلك، هي أفكار دينية نابعة من نصوص دينية، وبالتالي فإن نفس هذه المقولات لا يمكن أن تنسج حولها الأساطير بما هي مفاهيم، ولكن نسجت أساطير عديدة حول متعلق هذه المقولات، وحول غيرها، فالنسج هنا في متعلق المفهوم لا في نفس المفهوم، أو بعبارة أخرى، أن نسج الأساطير والحكايات عن هذه المقولات، هي فيما يدور حول هذه المقولات أي متعلقاتها، لا نفس المقولات كونها مفاهيم مجردة في أساسها.

أما في عصرنا هذا، عصر الانفتاح والمعلومات، لا يمكن أن نحد أو نحاول الحد من ظاهرة الاطلاع على العلوم المختلفة، في شتى ميادين المعرفة،فاختصاص مجموعة معينة بعلم معين واحتكاره لم يعد ممكنا- ، هذا كله خارج التخصص الدقيق طبعا- أي أن كلامنا في الاطلاع للعلوم، هو خارج الاختصاص الدقيق للعلوم المختلفة، داخل ضمن الاطلاع العام للعلوم، وبما أن علوم المعرفة الدينية، تهم شريحة عظيمة من الناس، لذا لم يعد بالإمكان حجبها بالكامل عن مريديها،فالناس الآن لم يعودوا عواما مثل السابق، فوسائل الإعلام والاتصال وتطورها ونموها المتسارع، ساعد وساهم في بناء ثقافة معلوماتية مهمة، لدى عدد كبير من الناس، حتى أن العديد من الناس لم يعودوا يسألون في جزئيات معينة في الفقه والعقائد مثلا، بل أصبحت تتوجه أسئلتهم بصورة أكثر دقة وأكثر منهجية، وفي مواضيع مهمة للغاية[١٩].

خلاصة البحث السابق هو الوصول إلى نقطة مهمة جدا نوجزها في مجموعة نقاط:

١- أن التعددية الدينية نتاج للمعرفة الدينية البشرية، وعليه فالتعدد أمر طبيعي للغاية.

٢- لا نريد من التعددية الدينية هنا الانسلاخ عن الدين، أو المعتقد الشخصي أو النوعي، أي أن الإنسان لا يطلب منه أن يغيّر دينه أو يبدل عقيدته، بل هو حر في الثبات على مبدئه، ولكن لا يحق له في نفس الوقت، أرغام الآخرين على التعبد بما يتعبد هو به.

{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}البقرة٢٥٦.

أي الاعتراف بالآخر كموجود له كيان يجب أن يحترم.سواء اختلفنا معه أم اتفقنا.

٣- الأديان كلها حقة ولأتباعها الحق في البقاء عليها، ولا يحق لأحد محاربتهم أو

اضطهادهم لأجل المعتقد أو الدين، وحسابهم على الله. {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }المؤمنون١١٧

٤- المعرفة الدينية وفق المفهوم الذي بيناه ليست مقدسة، بل محترمة فهي علم من العلوم يخضع لما تخضع له العلوم الأخرى.

٥- الغاية هو الاعتراف بالأخر مهما كان، فبهذا الاعتراف سوف تخبوا الطائفية والحروب الدينية، ويظهر السلم الأهلي والأمن المجتمعي، ليس مطلوب من أحد أن يغير دينه، بل المطلوب هو الاعتراف بالأخر.

٢- المقصد الثاني: فلسفة الدين الجديدة والحاجة إلى التغيير:

نبحث هنا عن الحاجة إلى تطوير فلسفة الدين، ومحاولة فهم مقولة علم الكلام الجديد، يعد هذا المقصد من مكملات البحث عن التعددية الدينية والمعرفة الدينية، وسوف نغوص في هذا المبحث حول مقولة مهمة ، هي مقولة التوحيد كأنموذج للتغيير الذي نرومه.

نشأ علم الكلام[٢٠] بسبب الموضوعات التي كانت تثار بين المسلمين، فبدايته كانت متعلقة بالذات الإلهية وصفاتها وأفعالها، وما لبث أن توسع وتطور، ليصبح له موضوع وفروع تناقش وتدرس، ولكن من مشاكل علم الكلام هو محدودية مواضيعه التي يناقشها، فهي لا تخرج عن التوحيد والنبوة والمعاد، وأضيف لها الإمامة والعدل الإلهي كما عند الشيعة الإمامية، والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة، بينما اقتصرت فرق أخرى على الثلاثة الأول كالأشاعرة، ظلت البنية الأولى للفكر الإسلامي تموّن التفكير الكلامي وتقوده في نسقه المحدد، فتكررت في المؤلفات الكلامية منذ نضوج علم الكلام الأفكار ذاتها ، وأنماط الاستدلال والموضوعات، ودخل هذا العلم مسارا مسدودا، دأب فيه على العودة إلى نفس المشكلات والتحديات التي بحثها السلف، فيبدأ من حيث ينتهي وينتهي من حيث بدأ، من دون أن يتقدم في حركته خطوة إلى الأمام مع وفرة ما ألف في هذه الحقبة، غير أنه لم يكن سوى شروح وهوامش على المتون التقليدية [٢١] . فمعظم البحوث كانت على شكل معارك بين الفرق ، فالأشاعرة مثلا يطرحون مسألة تتناولها المدرسة الإمامية بالتفنيد والرد، وتكون المعركة دائما على ساحة المدافع،[٢٢] بحيث ينشغل بوضع تنظيرات

لمسائل قد لا تنفع في الجانب العقائدي ولا تضر في العقيدة، كمناقشتهم لمسألة البداء والرجعة ونحوهما، من مسائل هي من المنقولات التي لا يجب التعبد بها، إلا بعد ثبوت صحة نقلها، فضلا عن العشرات من القضايا غير ذات الأهمية بالنسبة للأمة ولشعوب هذه الأمة.

والسؤال هنا هل علم الكلام الموجود الآن يفي بحاجات الأمة الآن؟، أم نحتاج إلى علم كلام جديد، يجيب عن أسئلة مهمة أخذت تطرح الآن على طاولة البحث؟

لنضرب مثلا : ما معنى مفردة الذكر الواردة في القرآن وعلى ماذا تدل؟

جاءت الإجابة من قبل المفسرين، بان معنى كلمة الذكر هو القرآن الكريم ، أو هو من أسماء القرآن الكريم ، بينما الآيات القرآنية تشير إلى مفهوم آخر، غير الذي ذكر في التفاسير:

- {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }آل عمران٥٨.
- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}النحل٤٣.
- {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }النحل٤٤.
- {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ }الأنبياء١٠٥.
- {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }يس١١.

فهذه الآيات ولا سيما الآية الرابعة تدل على أن الذكر غير القرآن الكريم، بل هو شيء آخر، وبحسب الآيات وظواهرها ، فان الذكر هو علم الله الذي ينزل منه للناس بحسب الحاجة، عن طريق الرسل والأنبياء ، وبالتالي فأن الآية الشريفة التي تقول: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }الحجر٩.. لا تقصد القرآن فقط، بل كل الكتب المنزلة،وبالتالي فأن كل الكتب السماوية محفوظة بنحو ما، وبالتالي فأن الأديان الأخرى هي حقة وجائز التعبد بها بلحاظ وحدة المصدر؟.

وهنا سوف نصطدم بهذا الإشكال: أن كل الكتب خلا القرآن حرفت" بحسب علماء المسلمين". وبناء عليه فأن هذه الآية ونظيراتها، تتحدث عن شيء واقعي، فالذي يحفظ القرآن يحفظ غيره من الكتب، سيما وأن مصدرها واحد وهو الله سبحانه، فلماذا حفظ القرآن دون الكتب الأخرى؟

تعددت الإجابات عن هذا السؤال، ولكنها لم تخرج عن الإطار الكلاسيكي للإجابة، والحال أن الحاجة إلى إجابات علمية معاصرة، خارج نطاق الإطار الكلاسيكي وواقعه المترهل، ونظير ذلك ما الفرق بين العالمية والعولمة ، وهل الدين الإسلامي دين عالمي؟ وإذا كان كذلك ما فرقه عن العولمة؟ الخ..

أفترض أن الإجابة عن هذا السؤال" وعن غيره من الأسئلة" يحل الكثير من المعضلات، ومن أهمها موضوعة حقانية الأديان جميعا من عدمها، مثل هذه الأسئلة وغيرها تحتاج فعلا إلى علم كلام جديد، فما هو علم الكلام الجديد.؟

نعرض لمفهوم علم الكلام الجديد الذي تكلمنا عنه قبل قليل، من خلال تحليل مفردات نفس العبارة، لنفترض أن مفردة الجديد تعني تجديد المنهج ، أي تجديد منهج علم الكلام وطرق تعاطيه مع القضايا موضوعة بحثه، ونفترض أيضا أن هذه المفردة تدل على تجديد مواضيع علم الكلام، أي بعث الروح فيها من جديد، مع إضافة عناوين جديدة لبحوثه، نظير حقوق الإنسان، حقوق المرأة، الإرث، الجهاد، ونحو ذلك،ونفترض التجديد في الهدف، أي أن هدف علم الكلام حينما تأسس هو الدفاع عن العقيدة، وتأسيس أصول لهذا الدفاع؟، الحاجة الآن قائمة للدفاع عن التجربة الدينية الوحيانية بصورة عامة، مما يحتاج إلى تغيير في كل الهدف الذي من أجله نشاء علم الكلام، أن تحديد أي واحدة من هذه الفرضيات والتسليم بها، هو بمثابة تحديد لمفهوم علم الكلام في زاوية معينة، أما التسليم بالمجموع فهو بمثابة إلغاء القديم وبداية علم كلام جديد، يقوم على أسس حديثة تنطلق من معايير علمية حديثة هي الأخرى، أي ترك المنطق الأرسطي والفرضيات الجدلية "أن قلت قلت" والنزعة التجريدية وشيوع التقليد في الأصول ونحو ذلك، فعلم الكلام القديم قد عقد البسيط، فحول التوحيد الذي هو من الفطريات، إلى تركيبة معقدة يصعب على الإنسان الاعتيادي فهم كنهها ، وحول مفهوم الإمامة والعدل وغيرهما ، إلى جدليات عقيمة لم تقدم سوى التناحر والتقاتل، بينما ينبغي أن يناقش علم الكلام قضايا أخرى، غير بديهيات الدين، فلا يوجد أوضح من قوله تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }الأنبياء٢٢.في تحديد مفهوم التوحيد وهناك العديد من النصوص القرآنية تحدد بوضوح، مفاهيم ما ناقشه علم الكلام،

ولكـن هـذا لا يعـني أن علـم الكـلام لم يقــدم خــدمات للمســلمين، بــل علــى العكس، فقد قدم خدمات جليلة في وقته ودافع عـن الشريعة ، ولكـن لكـل زمـان دولة ورجال ولكل مقام مقال،وعليه فأن تحديـد المفهـوم كفيـل بنقـل الموضـوع مـن طـور التفكير إلى طـور التأسيس والبناء، أي هنـاك حاجـة فعليـة إلى أنشـاء علـم كلام، يتعامل مع لغة الحياة اليومية، أي علم كلام للعامة من الناس لا للخاصة أو لخاصة الخاصـة، علـم يتعـاط مـع مجريات الواقع اليومي، ينـاقش الهمـوم والمشـاكل ويضع الحلول الناجعة لها، لا يترفـع عـن النــاس ولا يتجــافى عــنهم، لأن مهمــة العلــوم هــي حــل مشــكلات النــاس والتعاطي معهـم وتيسـير الصـعب أمـامهم لا العكس.[٢٣].

أمـا الغايـة من هـذا العلـم الجديـد ، فمـن العبـث أن نتحـدث عـن علـم مـا بـدون التحدث عن غايته، وقد سبق وأن أشرنا إلى أن غايـة العلـوم هـي تبسـيط الحيـاة وحـل مشـاكلها لا تعقيـدها، لآن الحيـاة ببساطة بسيطة وغير معقدة، وبالتالي فـان هدف أي علم وغايته هـو حـل مشـكلات معينة، في الحياة تواجه الإنسان نتيجة فعل نفس الإنسان وتصرفاته، أن علـم الكـلام كجزء من منظومـة المعرفـة الدينيـة، يعـالج مشاكل تتعلق بالعقيدة، أي يعالج الجانب العقائـدي ويحـاول رسـم الطريـق للفـرد المسلم، كي يصل إلى أخرته وهو صـحيح العقيدة، سالم من كل عاهـة قـد ترميـه في النـار"مـع الإشـارة إلى أن العقيـدة كلـها تتعلـق بالإيمـان بـالله سـبحانه وتعـالى"، والحال أن سبب نشوء علم الكلام القديم هو دخول الأفكار الجديدة والغريبـة عـن الفكـر والثقافـة الإسـلامية، إلى الـبلاد الإسلامية بعد الفتوحات، ودخول أقـوام ممــن يحملــون ثقافــات وعقائــد مغــايرة للعقائد الإسلامية إلى الإسلام، فنشأ علم الكلام بذلك السبب لإيجاد الأجوبة عمـا أستحدث آنذاك، وتطور ليصـل إلى حـد الترهــل والاقتصــار علــى الخاصــة مــن الناس، بسبب تعقـد مطالبـه وأطروحاتـه، وهي نتيجة طبيعيـة للتطـور الـداخلي لأي علم، يبدأ بسيطا ثم يتعقد ويتوسـع، وقـد يغـادر الأساسيات الـتي مـن اجلـها نشـأ، ويتحـول إلى فرضـيات أخـرى، تشـكل وجهه فيما بعد،وأفـترض أن سـبب نشـوء علم كلام جديد، هو نفس السبب القديم ولكــن باتجاهــات جديــدة، أي أن المبـدأ واحــد ، فــنحن في هــذا العصــر تقابلنــا عشــرات الآلاف مــن المســائل الكليــة والجزئية، تتعلق بمواضيع تمس العقيـدة في الصميم، ولكن لا نحرا في أغلب الأحيان

أي إجابة عنها، بسبب افتقارنا إلى الأساس المعرفي، الذي من خلاله نستطيع الرد على أي أطروحة أو سؤال قد يوجه إلينا، فنحن لم نصل بعد إلى مرحلة الدفاع، فضلا عن مرحلة التأسيس والتأصيل، فلم تعد تنفع مناهجنا في الرد على القفزات الضوئية للآخرين في سلم المعارف والعلوم، والحل يكمن في بناء أساس معرفي جديد، بديل عن القديم، أساس يتيح لنا أعادة بناء منظومتنا المعرفية، التي عطبت كما يعطب النمل الأبيض الخشب،هذا البناء لا يتم من قبل شخص واحد، بل لابد أن تتظافر الجهود من اجل هذا البناء، جهود كل المهتمين بالمعرفة الدينية الإسلامية، وبتطورها وسيرها نحو التقدم والازدهار.(٢٤)

- **المطلب الأول:التأسيس لمصطلحي التوحيد الذاتي والتوحيد النوعي:**

مفهوم التوحيد:هو الإجابة عن السؤال الأول الذي طرحه عقل الإنسان، عن موجد هذا الوجود ومدبره، وعن ماهيته وصفاته،لذا فإن التوحيد كمفهوم جاء من خلال حاجة إنسانية غطتها الذهنية البشرية ابتداء،ثم السماء من خلال الرسل التي أرسلتهم للناس ،

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة٢١٣.

وبهذا الصدد أختلف مفهوم التوحيد بين أمة وأخرى، أو بعبارة أدق بين المجموعات الإنسانية ككل باختلاف نظرتهم للحق سبحانه ، فكل مجموعة لديها إله تعبده وتعطي له الصفات التي تعتقد أنها موجودة فيه، وترسم صورة ذهنية عن ذلك الإله، وهذا ما أسميه بالتوحيد الذاتي ، أي الذي ينبع من ذهنية الإنسان ليشكل العلاقة بينه وبين ربه حسب هذا التصور،أما التوحيد النوعي ، فهو الإيمان المطلق بوجود إله مدبر لهذا الكون، يتفق عليه كل النوع الإنساني، فلا يوجد كائن على وجه الأرض – إنسان – إلا ويؤمن بإله مدبر، بغض النظر عن ماهية هذا المدبر، فهنا محورين:

١- المحور الأول: التوحيد الذاتي: ومحوره صورة الإله الإنساني، ودائرته هم المؤمنون به، بحسب تعدد الشرايع والتي تولد تعدد المفاهيم والتجارب،أي الصورة التي يشكلها الإنسان عن معبوده ، هو الذي نطلق عليه التوحيد الذاتي.

٢- المحور الثاني: التوحيد النوعي: ومحوره الإله العالمي، ودائرته النوع البشري ككل.والإيمان بهذا الإله إيمان مطلق من قبل كل النوع البشري، وبغض النظر عن ماهيته أيضا، وهو بهذا مجموع الصور التي يشكلها الناس عن هذا الإله.

الهدف من هذا التقسيم هو رفع الالتباس عن مفهوم التوحيد، والوصول إلى حل لمشكلة عويصة دارت رحى حربها منذ التعقل الأول للإنسان إلى يومنا هذا ، هذه المشكلة هي: من هو الإله الحق الذي ينبغي أتباعه،وقد جسد القرآن هذه المشكلة بقوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}البقرة١١٣،

والذي نريد أن نناقشه هنا هو تحديد الإله النوعي، كحقيقية موضوعية قائمة وواقعية،لأن التوحيد الذاتي هو من مختصات نفس المجموعة البشرية ، بل هو من مختصات نفس الفرد، لآن في المجموعة الواحدة من حيث التركيبة الدينية، توجد عدة تجارب لمفهوم التوحيد، إذ يختص كل فرد بتجربته الخاصة مع معبوده، لذا أقتضى التوضيح لمعنى التوحيد النوعي.

- التوحيد النوعي: لا يمكن أن يعيش الإنسان بدون معتقد، قد يقول البعض أن العقيدة الصحيحة تكمن عند مجموعة بشرية تؤمن بدين معين، ولكن القرآن لا يساعد على هذا الفهم .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}الحجرات١٣.

فبداية الآية الكريمة تتحدث عن الناس، أي بمجموعهم ككل بدون تمييز لدين أحد عن الآخر، ثم تتحدث عن الأثنينية في الجنس

البشري، ثم التنوع العرقي لتختم بميزان نوعي هو التقوى، فلا يوجد في هذه الآية دلالة على نوع دين هؤلاء الناس؟.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}النساء١..

ثم يتحدث سبحانه وتعالى عن غاية الدين، وهي الهداية وعدم أتباع الشيطان وكلامه سبحانه، كذلك للنوع لا لمجموعة معينة:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}البقرة١٦٨ ..

ثم يقول سبحانه في آية أخرى متحدثا فيها عن الهداية بصورة عامة أيضا:

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}البقرة٢١٣.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أن الأمر بالقسط والعدل ،كذلك ليس من شأن مجموعة من الناس فقط، فهنا وفيما سبق وفيما يأتي نفي لحصرية العقيدة وحقانية عقيدة واحدة، و حصرية النجاة و حصرية الإيمان بفئة معينة:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}آل عمران٢١..

كما شمل اللعن من الله سبحانه من يعاندون الحق، شمل به معظم الناس مما يعطي انطباعا بعدم الحصرية:

{أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَ الْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}آل عمران٨٧ .. ثم تكلم سبحانه عن الإيمان قال تعالى:

{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}يونس٩٩..

علما انه يوجد في القرآن ١٧٩ آية كريمة، جاء فيها ذكر الناس،

والبعض من شئونهم، ثم تكلم سبحانه عن الاختلاف والذي هو من سنن النوع البشري، ومن سماته:
{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} هود١١٨..
والحديث عن التوحيد النوعي يأتي في سياق هذه الآية المباركة:
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج١٨...
وقوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } الروم٣٣...
فهذا الرب الذي يدعوه هو الرب، الذي يؤمنون به. ومما مر لا يمكن أن نقول بانحصار الإيمان بالله في فئة معينة، بل أذهب أكثر من ذلك أن سبب عقيدة الشرك بالله، ليس عدم الإيمان به سبحانه، بل لقصور في عقل هؤلاء المشركين، ولظنهم بأن هناك مدبرين يساعدون الله في عمله وفي شأنه، ومنشأ فكرة الشرك هو قياس الناس لله على أنفسهم، أي أن الناس يقيسون الإله على ذواتهم، فهم محتاجون بسبب طبيعتهم البشرية، إلى أعوان ومساعدين لقضاء حوائجهم، فقاسوا ذواتهم الفقيرة إلى الذات الغنية، التي يجهلون ماهيتها أو لا أقل أنهم لا يدركون حقيقة الله بصورة عامة، وكما تحدث عنهم القرآن الكريم:
{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } الزمر٣...
فالتوحيد النوعي الذي نعنيه هو الإيمان النوعي، لكل النوع الإنساني بإله مدبر لشئون الكون، بغض النظر عن ماهية هذه الإله ، ونتوصل من خلال ما تقدم إلى الآتي:
١- أن الإنسان متدين بطبعه، كما هو اجتماعي بطبعه ،وهذا التدين هو الإيمان بوجود إله واحد لهذا الكون، هو مدبر شئونه.

٢- أن التوصل إلى معرفة الله، لا يتم إلا من خلال التجربة الدينية والاختبار الديني، أي أن الإنسان لا يصل إلى الله إلا بعد مروره بهذه التجربة، ومن هنا نشأ التعدد في الفهم من خلال التجربة الدينية، التي يمارسها الإنسان في حياته لتكوين صورة الإله الذاتي، ومن خلال تجربة النوع الإنساني لتكوين صورة الإله النوعي.

٣- لا ينحصر تجلي الحق سبحانه وتعالى، في ثقافة واحدة أو عند حضارة واحدة ، بل يتجلى في كل ثقافات الشعوب عبر شخصيات استثنائية متعددة ، هذا التجلي هو التشبه بالله وصفاته كما هو الحال عند الأنبياء (عليهم السلام)مثلا أو الفلاسفة، بل يتجلى عند جميع النوع الإنساني، بتجليات تتعدد بعدد أنفاس الخلائق.

٤- الحق سبحانه وتعالى واحد،إلا أن التعدد في معناه وحقيقته عند البشر مختلف،وهذا الاختلاف نابع من التعدد في تجليه سبحانه ، وظهوره في تاريخ الحضارات،فيعرف سبحانه بحسب نمط وطبع العارف به، أي بحسب تجلياته.

بقي أن نقول أن لم يؤمن بتعدد الفهم البشري لله سبحانه وتعالى، ويعده نوعا من الشرك أو الكفر فهو حر في رأيه، إذ لا يمكن أن يحصر الله سبحانه في ثقافة معينة ، كيف وهو لم يحصر ذاته الشريفة بل هو للجميع:

{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}الفاتحة٢..

وبقي الحساب والمسألة عند الله:

{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ به فَإِنَّمَا حسَابُهُ عندَ رَبِّه إِنَّهُ لَا يُفْلحُ الْكَافرُونَ }المؤمنون١١٧.

فالتوحيد النوعي هو من ضمن الحلول التي نقترحها، ضمن أطروحة التعددية الدينية، للخروج من أزمة الإنحصارية التي تدعيها كل الأديان، مع الإيحاء أن التعددية الدينية لم تناقش موضوعة التوحيد بهذه الصورة المكثفة، وإنما ناقشت موضع الحقانية وشمول جميع الأديان بهذا المفهوم.

إلى هنا أصلنا لمفهوم التوحيد الذاتي والتوحيد النوعي، والذي ننطلق من

خلاله لترسيخ أكبر لمفهوم التعددية الدينية، الذي يحل الكثير من المشاكل التي أدت إلى الخراب الذي نراه ، فلم يهرق دم مثل ما أهرق في النزاعات الدينية.

- الإشكالات التي تواجه هذا النوع من الطرح:

هنا جملة من الإشكالات التي قد تواجه هذا النوع من الطرح ، والتي تشكل في مجملها مادة علمية لترسيخ هذا المفهوم.

١- الإشكال الأول:هيمنة الشريعة الإسلامية على باقي الشرائع، بنص قوله تعالى : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }المائدة٤٨.

لذا فأن هذه الهيمنة تؤكد على حقانية العقيدة الإسلامية، وحقانية الشريعة بصورة كاملة، وينبغي على الجميع بدون استثناء الخضوع لها والتعبد بها، والإجابة في مستويات:

المستوى الأول: أن المذاهب الإسلامية - فضلا عن سائر الديانات الأخرى- لا تتفق فيما بينها على نمطية واحدة من الفهم، مما سبب خلاف فيما بينهم – في هذه الآية الشريفة، وغيرها - فيما يخص المذاهب الإسلامية - ومحاولة فرض منظومة معينة، من المفاهيم والرؤى على الآخرين، فنشأت المذاهب الكلامية والفقهية ، وكل مذهب له رؤية معينة عن معنى الشريعة، وعن معنى العقيدة مما ينسحب على التجربة الدينية الإسلامية بصورة عامة، وبالتالي فأن هذا التعميم لا ينهض بل العكس تماما، فهذه الآية ترسخ مفهوم التعددية وأن الحقانية مع الجميع، سيما في قوله تعالى" فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا" وتعدد الشرايع والمناهج دليل على عظمة الله سبحانه، وعدم إمكانية حصره لفئة معينة فقط: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ

لمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }المائدة١٨..

المستوى الثاني:- مسألة الدين الواحد أو حقانية الدين الواحد :-

هذه أطروحة كل الأديان السماوية، فكل دين يعتقد بحقانيته وتفوق شريعته وهيمنتها على كل الشرائع الأخرى:

قال تعالى : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }البقرة١١٣...

وبالتالي فأن الحقانية و الواحدية ، دعوة تنادي بها جميع الأديان السماوية والوضعية، فأين الحقيقة ومن يمتلكها؟

ليس هذا تشكيك بواقعية الأديان ووجودها، بل هو تشكيك في الحقانية الواحدة والحصرية المطلقة، القرآن الكريم يدعوا إلى التعددية وإلى حقانية الجميع:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة٦٢..

فالمطلوب هو الإيمان بالله، فالتوحيد إذا ليس من حق دين بعينه ، بل حتى العبادة فهي من حق الناس جميعا:

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة٢١..

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة٢١٣..

لذا فأن الإطلاق و الحصرية مقولة لا تنهض، ولا دليل عليها يمكن أن يزكم الأنوف ، فهي دعوة لإلغاء الآخر أيا كان ، وتحييده ومنعه من ممارسة حقه الطبيعي، الذي وهب له في البحث والتقصي عن الحقيقة، التي تنجيه يوم الحساب،فمن يملك هذه السلطة؟

الله سبحانه وتعالى هو الذي يملكها، ولكنه يخاطب الناس بطريقة أخرى، لا تقصي أحد ولا تجعله سبحانه حبيس كنيسة أو معبد أو مسجد أو صومعة،قال تعالى:
{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }الحشر٢٤..
{وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }البقرة١١٥.
أن التعددية الدينية التي نقصدها هنا، هي بسيطة بساطة الدين نفسه، فالمقصود هو ترك كل ذي دين ودينه، يمارس طقوسه وشعائره العبادية، بدون رقيب من أحد،لا أدعو لأي دين على حساب الأديان الأخرى، ولا أجبر أحد على الدخول في دين معين أو أكفره لاختلافه معي :
قال تعالى : {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}البقرة٢٥٦.
كما لا أجبر أحد على عدم البحث عن الحقيقة التي تنجيه يوم القيامة من الحساب، الله سبحانه يطالب بحقيقة واحدة، ويريد من الناس أن يؤمنوا بها، هذه الحقيقة بسيطة للغاية وهي المخلصة من الحساب ، إلا وهي الإيمان به سبحانه:
قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }البقرة٢٥٦..
لا يحتاج كلام الله إلى تأويل أو اجتهاد، فهو واضح جدا، أن سبب من أهم أسباب الاختلاف هو كثرة الاجتهادات في مقابل النص، وتحميل النص أكثر مما يحتمل، فهذه واحدة من أهم أسباب القطيعة، ما بين أتباع الأديان –الشرايع-، أن لم تكن هي المحور الأساس في هذه القطيعة، وهذه الخصلة موجودة لدى الجميع بدون استثناء، أي جميع الأديان لديها الاجتهاد في مقابل النص وتحميل النص أكثر مما يحتمل، بل إضافة الفهم البشري لشرح النصوص، بناء على الخلفيات التي يؤمن بها هذا الفرد أو تلك الجماعة، وقد تظهر في النهاية أن هذه الاجتهادات فيها خطأ كبير، وكثير من الاجتهادات أدت إلى مجازر في التاريخ، ألم يكن قتل أبن

بنت نبي الله محمد (ﷺ) اجتهادا من قبل يزيد بن معاوية أبن أبي سفيان؟!. أولم تكن الحروب الصليبية اجتهادا من البابا في الفاتيكان، أليس قتل الأنبياء كان اجتهاد من الناس؟!.. والشواهد عديدة جدا قد تملى الخافقين، ولكن العبرة ليست في سردها، بل العبرة في التمعن في أسبابها ونتائجها، ومحاولة معالجة هذه الأسباب، كي لا تؤدي إلى نتائج كارثية أخرى، ومن ضمن المعالجات هي مقولة التعددية الدينية.

هذه المقولة هي من نظريات الفيلسوف الانجليزي" جون هيك" وهو من طور هذه النظرية، وأقترحها كعلاج لمشكلة التشرذم والتقاتل بين الأديان بصورة عامة، أرى أنها من ضمن الحلول المتعددة ، التي تعالج حالة التقاتل بين الأمم،بل هنا قد طورنا هذه النظرية وجئنا بطرح جديد ، يتلاءم مع الفكر الإسلامي بصورة عامة، ولا يتقاطع مع الأخر، فالقتال الآن دائر بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وبينه وبين أوروبا من جهة أخرى، أخذ هذا القتال صورا عديدة، وسوف يستمر أن لم يعالج، فأوروبا وأمريكا تفهم الإسلام، أو تريد أن تفهمه من خلال فهمها للتنظيمات المتطرفة المسلحة، التي تشن الهجمات عليها بين الحين والآخر،والمسلمون يفهمون أوروبا وأمريكا من خلال زاوية إرهاب الدولة القوية ضد الدول الضعيفة[٢٥]

والمطلوب هو فهم حقيقي للأديان بما هي هي، أي بدون إضافات من أحد، وبدون زيادات، فالأديان كلها تدعوا إلى السلام والإخاء والمحبة، وكل الأنبياء رسالتهم السلام، فكيف يكون أتباعهم أتباع حرب وقتال؟!. في الحقيقة الأمر معقد للغاية، وقد لا يسع هذا البحث الخوض فيه، ولكن هناك ملامح رئيسية لابد من الإشارة إليها، والتي أفترض أنها السبب فيما نراه:

١- تعدد الاجتهادات – وهذا بحد ذاته أمر صحي – والقراءات من قبل أتباع كل دين لنصوصهم المقدسة، و غير صحي هو محاولة حمل الآخرين على الاعتقاد بهذه القراءات، كأنها مسلمات لا تقبل النقاش والجدل، من خلال إضفاء صفة

القدسية عليها، مما يخرجها من مجال الاجتهاد والفهم البشري إلى محاولة تأليهها. وهذا يؤدي بالتالي إلى التكفير والتشريد والقتل.

٢- انعدام الحوار الجاد والهادف بين الأديان بصورة عامة، وبين مذاهب وطرق تلك الأديان بصورة خاصة، يؤدي هذا إلى سوء الفهم الناتج من عدم فهم الأخر بصورة حقيقة وعدم فهم حقيقة الأديان.

٣- تحول القضايا والحوادث التاريخية إلى مقدسات لا تقبل النقاش لدى أتباع كل دين، والواقع أن التاريخ لا يمكن أن يتحول إلى مقدس، لأنه ببساطة من نتاج نفس الإنسان، فهو عبارة عن السيرورة البشرية منذ بداية الخليقة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما ينتجه البشر أفترض أنه غير مقدس، ولا يمكن جعله مقدس، لأن أتباع دين معين أو أتباع كل الأديان، يرون أن تاريخهم مقدس.

٤- الخلط بين الدين بما هو إلهي وبين المعرفة الدينية، التي هي نتاج فهم الإنسان للدين، هذا الخلط أدى إلى إضفاء صفة المقدس على هذه المعرفة[٢٦]

المعرفة الدينية علم كسائر العلوم كما قدمنا، لها قواعدها ومناهجها، وكونها تقرأ النص الديني وتفسره بناء على تلك القواعد البشرية، لا يصيرها علما مقدسا، فقد شاع أن كل العلوم شريفة وأشرفها الفقه، من باب أن شرف العلم بشرف موضوعه، نعم مقولة أن كل العلوم شريفة هي مقولة صحيحة، ولكن لا يمكن حصر الشرف والرفعة في علم واحد، لأن ذلك يؤدي إلى انصراف الناس عن سائر العلوم والاشتغال بعلم واحد، وهو يؤدي إلى فساد الطبيعة وانقراض النوع البشري، بينما القرآن ينص على خلاف ذلك :

قال تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }التوبة١٢٢..

وعليه فلابد من التفريق بين ما هو مقدس، وبين ما هو غير مقدس، أي الذي يخضع للنقد والتفنيد، وبين الذي لا يخضع، فالنص المقدس من الممكن أن لا يتم مناقشته لعصمة الناقل وتعالي المصدر المنقول عنه، أما غير النص المقدس فهو ليس بمقدس، ولا يمكن قبول فرض ذلك عليه، وبالتالي فهو عرضة للنقد والتفنيد.

٣- الإشكال الثاني:- أن سائر الأديان عدا الدين الإسلامي، يجعل في الله ما ليس فيه من صفات، وقد يجسده ويجعل له ولد..الخ. وبالتالي فإن المسلمين هم من يمتلكون عقيدة التوحيد الصحيحة التي تنزه الله عما ليس فيه.

والجواب:- من المعروف بين المسلمين جميعا، وجود العشرات من المذاهب والفرق الإسلامية،(٢٧) والكثير من هذه الفرق تجسد وتعطي لله صفات ليست فيه ولا له، ولا زالت الكثير من هذه الفرق موجودة، ولديها أتباع لحد هذه اللحظة، وتمارس حياتها بصورة طبيعية، ولا يمكن أن نكفرهم أو نقول هؤلاء خارج ملة الإسلام،(٢٨) فالأمر كذلك في باقي الأديان، أي أنه أمر غير مستغرب البتة، بل هو أمر طبيعي يرجع إلى تعدد الفهم البشري للدين، الذي تكلمنا عنه قبل قليل، فعدم حكمنا بكفر الملل والمذاهب التي تدين بعموميات وضروريات الشريعة الإسلامية، ينسحب على باقي أتباع الشرايع والملل الأخرى، إذ يؤمن الآخرون كما نؤمن بضروريات الدين وعمومياته، وبالتالي فأتباع كل مذهب أو شريعة، لهم الحق في إدعاء الحق لهم، ولكن بشرط الاعتراف بالأخر وعدم إلغائه.

٤- الإشكال الثالث: قرر القرآن أن الدين الحق هو الإسلام، من خلال قوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}آل عمران٨٥.. وبالتالي فمن لم يؤمن بالإسلام فهو كافر لا يقبل منه شيء.

والجواب:- أي إسلام هذا الذي نص عليه القرآن الكريم؟ هل هو الدين الذي أرداه سبحانه وتعالى لجميع الناس أم لفرقة معينة؟ وهل هو الذي نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أم هو

دين الأنبياء عموما؟ الأحاديث النبوية تؤكد على أن الأنبياء أخوة ودينهم واحد، بل القرآن يثبت هذه الحقيقة بقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ }آل عمران١٩.. يجب أن نفرق بين الدين وبين الشريعة، بين الدستور وبين القانون، الإسلام دين سماوي واحد غير قابل للتجزئة، بينما الشرائع تختلف باختلاف الأزمنة وتطور الحاجة البشرية للتجديد والتطوير، {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}المائدة٤٨... لذلك فأن الدين بما هو قواعد عامة، تختلف عن التشريع أو الشريعة، نعم المصدر واحد ولكن التفريعات تختلف، فالمناسب من الأحكام لزمن نوح(عليه السلام) غير مناسب لزمن موسى (عليه السلام)،وهذا ما نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى:" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً " الشريعة مصدرها الدين، إذ يعتبر الدين القواعد الأساسية التي تبنى عليها الشريعة، وبالتالي فأن الاختلاف في الشريعة، لا يعتبر اختلافا في الدين، وبعبارة أخرى أن الشرايع تبنى على الدين، والاختلاف فيما بينها لا يعني الاختلاف في الدين ، بل بحسب التطور والحاجة البشرية تنزل الشرايع، ومنه نرى تعدد التجارب الدينية بتعدد الشرايع النازلة إلى الناس، هذا التعدد لا يدل على الحقانية المفردة، بل يدل على الحقانية المطلقة، فلكل أتباع شريعة منهجا معينا يتبعوه، الذي حدث والذي يحدث هو فرض شريعة معينة على الآخرين، هذا الأمر هو المرفوض جملة وتفصيلا، فالحق مع الجميع بدون استثناء وهي ليست دعوة سفسطائية، بل هي دعوة عقلانية، فلا يمكن أن اكفر كل من لم يدن بدين معين، واعتبر الجميع في النار، وهذه الفرقة في الجنة، ذلك رجع بعيد وكلام غير منطقي لا يمكن التسليم به.

هذه أهم الإشكالات التي قد توجه إلى هذا الطرح، وقد توجه إشكالات إلى نفس موضوعة التوحيد الذاتي والتوحيد النوعي بصورة مغايرة لما ذكرنا.

- المطلب الثاني: المعاد:

أردنا أن ننجز الموضوع بالتعريج على المعاد، كونه أساسي في بحثنا هذا، ومن مكملات أطروحة التعددية الدينية.

شغل الإنسان بمسألة ما بعد الموت منذ رأى الموت لأول مرة وشعر بحرارة فراق الأحبة، ما هو المصير بعد الموت هذا هو السؤال الكبير؟[٢٩].

ورحم الله ألجواهري إذ يقول:

لغز الحياة وحيرة الألباب ❖❖❖❖ أن يستحيل المرء محض تراب

إلى أين المآل هل الموت فوت؟ أم أن هناك حياة أخرى يعيشها الإنسان بعد موته؟وما هي هذه الحياة وما هو شكلها؟ يمكن حصر مقولات المعاد على اختلافها في مقولتين:

١- أن بعد الموت حياة أخرى، بغض النظر عن ماهية هذه الحياة وكيفية الاستعداد لها.
٢- أن لا حياة سوى هذه الحياة وأن الإنسان إذا مات فات.

في الحقيقة مناقشة كلا المقولتين يحتاج إلى بسط وشرح مطول لذهنية كلا القائلين بهما،على اختلاف مشاربهم وانتمائهم العقائدي، لذا سوف نقتصر على مقولة المسلمين في هذه الموضوعة دون الآخرين.

ذهب المسلمون تبعا للقرآن الكريم إلى وجود حياة أخرى بعد الموت، وهم مجمعون على ذلك لا يشذ منهم إلا شذاذ الأفاق، وقد استدلوا على ذلك بالعشرات من الآيات الشريفة ومئات الروايات والأحاديث، ولكن منشأ اختلافهم يكمن في ماهية تلك الحياة، هل هي مادية مشابهة لما نحن فيه، مع تطويرات أخرى يهبها الله إلى من يشاء،أم هي من سنخية أخرى مغايرة لهذه المرتبة الوجودية أعني الدنيا، نزاع طويل استمر إلى يومنا هذا، وسوف يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسوف نجمل الموضوع في عدة فرضيات للمناقشة.

١- ماهية تلك الحياة هل هي مادية أم لا؟
٢- الوجود في تلك الحياة هل هو انتظارا أم تكامل للنفس الإنسانية؟
٣- معنى القبر وحسابه.

الفرضية الأولى: أجاب القرآن عن هذه الفرضية بهذه الآية الشريفة،

{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }المؤمنون١٠٠........

وشرح سبحانه معنى البرزخ في هذه الآية الشريفة،

{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ}الرحمن٢٠.....

فالبرزخ إذن هو الحاجز بين هذه الحياة وتلك الحياة، فنستدل على أن ماهية الحياة الأخرى هي مغايرة لهذه الحياة، وإلا لما احتاج إلى برزخ، نعم قد يقال أن البرزخ هو نحو حاجز بين الإنسان وبين تلك الحياة، حتى يظل الموضوع مجهولا، وبالتالي فإن الإنسان بطبعه يخاف من المجهول، لذا يستعد لتلك الحياة بالأعمال الخيرة، التي وردت في الروايات وفي القرآن الكريم، وهو كلام وجيه ولكنه غير تام، لآن الخوف والرجاء والتمني لا علاقة له بالبرزخ، بل له علاقة بجانب أخلاقي أخر، نعم هو استعداد لتلك الحياة، بناء على الرغبة في الخلاص، ولكن لا يمت لموضوع البرزخ وماهيته بأي صلة، وعلى أي حال فمسألة الحياة الآخرة، مغايرة لهذه الحياة بناء على مقولة التغاير في المراتب الوجودية المستفاد من قولة تعالى:

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }الأعراف١٧٢... فالمستفاد من هذه الآية الشريفة هو تعدد المراتب الوجودية، وتغايرها بلحاظ عدم معرفتنا بهذا العالم، لولا أخبار السماء للأنبياء بذلك، وكذا الحال بالنسبة للحياة البرزخية فلا علم لنا بها، بل لا يستطيع العقل أن يستدل على تلك الحياة ووجودها وماهيتها بدون معونة السماء، فحتى الاستدلال العقائدي والفلسفي على وجود حياة ما بعد الموت، إنما هو استدلال مبني على أصول شرعية، أي روايات وآيات شريفة. فنقول بأن الحياة الأخرى هي حياة من سنخية أخرى مغايرة لهذه الحياة الدنيا، بأخبار القرآن لنا بذلك .نعم قد يستدل العقل على عبثية النهاية بدون خاتمة، ولكن لا يمكن أن يستدل على حقيقة وتفاصيل ما يجري، إلا من خلال الأنبياء.

الفرضية الثانية: هل الحياة الآخرة انتظار أم تكامل؟:سؤال محير للغاية، ولابد من الخوض فيه بناء على مقولة المسلمين ، لا يرى الكثير من المسلمين وجود حياة تكاملية بعد الموت، بل هي انتظار لحين قيام الساعة، ويستدلون بقوله تعالى:

(حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ{٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ{١٠٠} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ{١٠١}) سورة المؤمنون...

فأي تكامل لا يوجد في هذه الحياة، والمفهوم من معنى التكامل هو ليس العمل، الذي نقوم به في هذه الحياة الدنيا أعني التكليف، بل هو تكامل روحي، أي أن النفس تتكامل في هذه المرحلة، ليزداد الذين عملوا الخيرات والأعمال الصالحة ثوابا، ويخفف العذاب والعقاب عن الذين عملوا السوء، بمعنى أخر أن الجميع يصل يوم القيامة وقد تكاملوا، ليقفوا للحساب أمام ربهم وخالقهم، وقد أكتمل المؤمنون إيمانا وخفف عن المسيئين ذنوبهم ، وذلك هو مقتضى الرحمة الإلهية:

{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }الأنعام١٢..

فمقتضى قوله تعالى انه كتب على نفسه الرحمة، أما الاستدلال بالآية ففيه، أنها لا تدل إلا على التكليف في الحياة الدنيا، وما نحن فيه ليس تكليف بل تكاملاً، فالمطلوب هو الإرجاع لغرض العمل الصالح، لأنهم شاهدوا النعيم نعيم التكامل بالنسبة للأخيار، والذي هو نتاج عملهم في الحياة الدنيا، وشاهدوا التعب والكدح الذي يعانوه نتيجة أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا، فالاثنين في تكامل الأول لزيادة الملكات الروحانية ، والثاني للتنقية من الذنوب، فيوم القيامة لا يمكن الفرار من التطهير بصورة من الصور، فحتى المؤمنون يشاهدون الجحيم قبل الدخول إلى الجنة:

{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً }مريم٧١..

هذا الورود هو التكامل الأخير للجميع، قبل دخول الجنة والعيش في نعيمها، ومن هنا يتضح عبثية الانتظار وعدم معناه.

الفرضية الثالثة:معنى القبر وحسابه: المضنون به بل المتيقن به لدى الكثير من الناس، أن حساب القبر يتم في هذا القبر المادي، بل ذهب الكثيرون إلى إجراء دراسات وتصوير بواطن قبور كثيرة ، لمشاهدة التغيرات التي تتم على الميت فلم يلاحظوا سوى التغيرات البيولوجية، أي التحلل الطبيعي للجثة، والحق خلاف ذلك ، فالجسد المادي الذي استعملته الروح في هذه المرتبة الوجودية "الحياة الدنيا"، يناسب سنخية هذه النشأة، ولا

يناسب سنخية نشأت ومراتب وجودية أخرى، بل هو مصمم لهذه المرتبة فقط ، بلحاظ أن المراتب الأخرى، لها هياكل معينة تناسب سنخيتها وماهيتها ، فمرتبة عالم الذر مثلا، وعندما أخذ الله العهد من بني أدم بالإيمان به والكفر بالطاغوت، كان لهذه النفس هيكل يناسب تلك المرتبة، وهي بعد نزولها إلى هذه المرتبة، لم تعد بحاجة إليه لانتفائها" أي انتفاء الحاجة لذلك الهيكل"، واحتاجت إلى هيكل أخر يناسب المرتبة التي وصلتها هذه النفس، وكذلك الأمر في المراتب الأخرى، أما بالنسبة لهذا القبر أي المادي الترابي، الذي يدفن فيه جسد الإنسان بعد موته، والطقوس التي تجري على الجسد من تغسيل وتكفين وصلاة ونحو ذلك، فهو تكريم لهذه الحقيقة، أي الحقيقة الإنسانية التي كانت تعتمل هذا الجسد، ولحفظ حرمته وكي لا تؤذي رائحته الناس بحسب تعبير الفقهاء، لا شيء أخر وراء هذا القبر، فلا قيمة له إلا كونه حافظ لهذا الجسد، وحافظ لحرمة الإنسان، التي هي في الحقيقة نفس الإنسان وروحه التي وهبها الله له :

{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }الحجر٢٩.

وما زيارتنا للأموات إلا تكريما لهذه النفس الكريمة، التي هي من روح الله وكلمته،واستذكار هذا اليوم كعبرة لنا، لذا فالقبر هو في مكان أخر، أي قبر النفس في مكان أخر، عرفه النص الديني باسم البرزخ، هذا القبر هو تعبير مجازي عن مكان تواجد النفس في تلك المرتبة، وليس قبر بالمعنى العرفي الذي شرحناه قبل قليل، لتغاير المرتبة وماهيتها، لذا فأن ما نسمعه ونقرأه عن الحساب في القبر، هو في تلك المرتبة وهو ما عنيناه بالتكامل بكل دقة.

وخلاصة القول أن الاعتراف بالأخر وبوجوده هو الغاية من مقولة التعددية الدينية، أي احترام اختيار الأخر وأن خالف خياري.

قائمة المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- نهج البلاغة – مجموع خطب وكلمات وكتب وحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) – جمع الشريف الرضي- طبع إيران- سنة ٢٠١
٣- الصراطات المستقيمة – التعددية الدينية – د- عبد الكريم سروش – ترجمة السيد أحمد القبنجي – طبع – سنة ٢٠٠٩.
٤- بحار الأنوار – العلامة ألمجلسي – مطبعة الأعلمي- بيروت – لبنان- سنة ٢٠٠٩.
٥- الملل والنحل – الشهرستاني – طبع دار التعارف – بيروت – لبنان- سنة ١٩٩٧.
٦- الملل والنحل – الشيخ جعفر السبحاني- طبع – إيران –قم- سنة ١٩٩٥.
٧- الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي- طبع- بيروت – لبنان- سنة ١٩٩٥.
٨- خالد توفيق - بحث حول الإمامة- حوارية مع السيد كمال الحيدري- طبع إيران- قم- سنة ١٩٩٧م.
٩- عبد الجبار الرفاعي – علم الكلام الجديد وفلسفة الدين –طبع العراق- بغداد- سنة٢٠٠٨م.
١٠- الاستفتاءات الشرعية – الشيخ محمد إسحاق الفياض- نشر دار البذرة- طبع الكلمة الطيبة- الطبعة الأولى - ١٤٣١هج- ٢٠١٠م.
١١- الكامل في التاريخ –لأبن الأثير- طبع لبنان – بيروت- سنة ٢٠٠٤.
١٢- التعددية الدينية- محمد ليغنهاوزن- طبع بيروت – لبنان- سنة ٢٠٠٦.
١٣- التعددية الدينية في فلسفة جون هيك – ترجمة

وجيه قانصو- طبع بيروت – لبنان- ٢٠٠٧.

١٤- ديوان مثنوي – جلال الدين الرومي –مولوي- طبع – إيران- قم-٢٠٠١.

هوامش البحث

(١)الحملات الإسلامية كان الهدف منها نشر الدين الإسلامي، الحملات الصليبية والاستشراق كان الهدف منه التبشير بالنصرانية، حملات الغرب الاستعمارية في العصر الحديث والمعاصر الهدف منها ديني، حملات هتلر وغزوه للعالم دافعها ديني بغية تصحيح المسيحية. والمئات بل الآلاف الشواهد التاريخية على افتراضنا أعلاه.

(2) نعني بالانحصار هنا اعتقاد مجموعة معينة بوجود الحق والهداية عندها دون الآخرين، أي انحصار النجاة عند هذه الفرقة فقط دون الآخرين، يستند المسلمون إلى حديث الفرقة الذي يروونه عن النبي محمد(ص) أن هناك ثلاثة وسبعون فرقة واحدة ناجية والأخريات في النار، عند البحث في هذه الرواية سندا ومتنا نجد فيها ثغرات كثيرة لا تساعد الباحث بالاعتماد عليها كما أنها تخالف صريح القرآن الكريم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }البقرة١١٣ .فلا يمكن المساعدة عليها كما أن القرآن يشير إلى معنى أخر حول الانحصار فيؤكد على عدمية هذا المبدأ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة٦٢.نعم من الممكن أن تتمسك كل فرقة بما تعتقد وهذا من حقها ولكن ليس من حقها أن تجبر الآخرين على الخضوع لاعتقادها، عام ١٩٩٩م حضرت لاستماع محاضرة في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية ألقاها الشيخ محمد علي ألتسخيري ناقش فيها موضوع التعددية وناقش فيها موضوع الرواية السابقة والتي فندها الشيخ ألتسخيري جملة وتفصيلا.فالانحصار إذا كان ضمن الفرقة الواحدة فهو أمر مقبول أما تصديره إلى الآخرين على أنه الحق الصريح فهذا مما لا يمكن المساعدة عليه بأي حال من الأحوال.

(٣) ينظر عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر في نهج البلاغة...نهج البلاغة – الجزء الثالث- الكتاب رقم ٥٣–ص٣٢٠–طبعة دار التعارف اللبنانية الموسعة–سنة١٩٩٠–الطبعة الأولى.

(٤)وأن كان الاعتقاد الذي أحمله هو أن الدين واحد ولا تعددية فيه وإنما التعددية في التشريعات الجزئية أو الأحكام الشرعية

الخاصة بأتباع كل شريعة ولكن درج اللسان على هذه المقولة.

(٥)مع ملاحظة وجود فروق في فهم مسألة التوحيد،سوف نستعرض في واحد من مقاصد هذا البحث موضوع التوحيد وفق رؤية جديدة أن شاء الله تعالى.

(١)سوف نتحدث بصورة مسهبة عن المقدس في بحث المعرفة الدينية من نفس هذا البحث أن شاء الله تعالى،

(٦) ينظر على سبيل المثال : التعددية الدينية – جون هيك.. التعددية الدينية – محمد ليغنهاوزن- التعددية الدينية – الدكتور عبد الكريم سروش. مع التنبيه إلى أن جون هيك يعد من رواد هذه النظرية.

(٧) التنجيز والتعذير مصطلحان أصوليان عقليان،-وأن كان البعض قالوا بأن المصطلحان قد يكونا شرعيان في بعض الموارد إلا أنه قول مردود- يراد بالأول ثبوت المسئولية على المكلف – الفرد- فحينما يقال أن هذا الحكم منجز على المكلف فمعناه أن المكلف مسئول عن امتثاله، أما الثاني فالمقصود منه نفي المسئولية عن المكلف تجاه الحكم الواقعي،. الشيخ محمد صنقور علي – المعجم الأصولي- ص٤٩٩-ط١-٢٠٠١م. لذا وبناء على هذين المفهومين فلابد للمكلف الذي يدرك بعقله أنه مكلف ولابد له من البحث عن مخرج يكون فيه معذورا ، وبناء على هذه المقولة فأن أتباع منهج معين-دين أو شريعة معينة- يكون فيه الإنسان معذورا من خلال التعبد به- يصبح هو الغاية، ومن هنا نشأ الخلاف بين المذاهب أو الأديان وأيها هو الحق والذي لو تعبد به المكلف لنجا.

(٨) سنستعرض هنا البعض من أشعارهم التي يشيرون فيها إلى هذا المفهوم.(أن اختلاف الناس جاء من ناحية الاسم – ولكن عندما يصل الإنسان إلى المعنى يحصل الوئام)جلال الدين الرومي – المثنوي- الدفتر الثاني-البيت٣٦٨٩.(عندما أصبح عديم الألوان أسير اللون- صار موسى في صراع مع موسى- وعندما تصل إلى مرتبة عديم الألوان- فسوف تجد أن موسى متصالحا مع فرعون- فالحرب الظاهرية يقصد منها إيجاد الحيرة للناظر- فلابد من العثور على الكنز في هذه الخرائب- وأعلم يا سليم القلب أن صراع موسى مع فرعون- إنما هو من قبيل النعلين المعكوستين)- نفس المصدر- الأبيات-٢٤٧١-٢٤٧٢-٢٤٧٩-٢٤٨٦.. (أن الصاحب يعلم بوجود الكنز في الخرائب- فلا تظن سوءا أنه وضع النعل معكوسا بلا غرض- أن الحقيقة غارقة في دوامة حقيقة أخرى- وهذا هو السبب في التفرق سبعين بل مائة فرقة.)ونجد العددي من كلمات الحكماء وفلاسفة الإسلام تصب في هذه الاتجاه، المهم من كل هذا هو ليس سلخ الإنسان عن معتقده الشخصي الذي يدين به بل الغاية هو الاعتراف بالأخر مهما كان مختلفا مع الذات كما وضحنا وسنوضح لاحقا.



(9) الشطر الثاني من هذه الآية الكريمة تعطي مفهوما أخر يختلف عن الشطر الأول. { لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }المائدة٤٨. فالشطر الأول يعطي انطباعا بأن الشريعة الإسلامية هي المهيمنة على الشرايع كافة وأن الحكم سواء أكان

(١) لا نعني بأن الدين ليس من خارج المجتمع بأن الدين هو نتاج بشري، بل نعني أن الدين حاجة مجتمعية وبالتالي فإن المعرفة الدينية البشرية هي نتاج بشرية لا نفس الدين.

(10) كما نستفيد ذلك من هذا النص القرآني الذي يبين سبق التجربة البشرية للدين قبل التجربة الوحيانية النبوية.. {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }البقرة٢١٣.

(١١)ينظر على سبيل المثال- الكامل في التاريخ -لأبن الأثير-ج١.

(١٢) الظاهر أن هذه الخصلة وغيرها ليست من مختصات علماء الدين بل تشمل كل العلماء في كل التخصصات.

(13) هناك فارق مهم بين المعرفة والتجربة الدينية بواقعها الوحياني والمعرفة والتجربة الدينية بواقعها البشري، هذا الفارق يكمن في تكامل الأولى وعدم تكامل الثانية، أي أن الأنبياء يكملون بعضهم بعضا، فلا قطيعة في الدين إذ يكمل الأنبياء الشرايع تباعا وبحسب الحاجة التي يفرضها واقعهم الاجتماعي، فترفع بعض الأحكام التي انتفت الحاجة لوجودها لتحل محلها أحكام جديدة، على أن الأساسيات التي يعبر عنها بالضروري من الدين لا تتغير،فالأنبياء أخوة ودينهم واحد بحسب تعبير رسول الله(ص)، أما الثانية فتجد أن الاختلاف قائما فيها على قدم وساق، فلا تجد بين الفقهاء أتفاق إلا فيما ندر من الأحكام ، أو في الضروري من الدين بينما يقع الخلاف بينهم في نسبة عالية جدا من الأحكام الأخرى، وهذه ظاهرة طبيعية للغاية تولدها المعرفة والتجربة الدينية في بعدها البشري، لأن قانون البشر هو الاختلاف.

(14) تختلف مقولة العصمة بين مدرسة وأخرى. فالإمامية من الشيعة يرونها كاملة تامة في كل أنات حياته، بينما ترى المدارس الأخرى أن النبي معصوم في فترة التبليغ الرسالي وغير معصوم في غيرها من التبليغات كالأعمال الاجتماعية مثلا.وهذه المدرسة ليست لدى المسلمين فقط بل هي منتشرة لدى أتباع الديانات الأخرى. والموضوع محل أخذ ورد لحد يومنا هذا.

(١٥) الاستفتاءات الشرعية – الشيخ محمد إسحاق الفياض- نشر دار البذرة- طبع الكلمة الطيبة- الطبعة الأولى -١٤٣١هج-٢٠١٠م. ص ٧.

(16) لنفس هذا السبب أندفع النهضويون والتنويريون إلى مقاطعة الدين أبان عصر النهضة في أوروبا،باعتباره نتاج أضر بالناس ولم يقدم لهم سوى الويلات وأن الكنيسة لم تقدم لهم سوى المآسي، والسبب هو تقديس غير المقدس ودفع الناس وجملهم على تقديسه حتى نفروا من الدين ككل.

(١٧) الموارد كثيرة وهذا البحث ليس مخصصا لها بل هو لوضع العلاج من خلال الأطر العامة دون الخوض في التفاصيل التي هي من مهام علماء الدين.لذا الدعوة في الحقيقة هي لقراءة النص الديني من جديد لإنتاج معرفة تلاءم الوقت الحاضر على أن تكون سنة متبعة في كل عصر حتى نكسر الجمود الذي بدا يفقد الدين رونقه وتأثيره بين الناس.

(18) العلامة ألمجلسي – بحار الأنوار – ج٦٧-ص١٣٧.

(19) من خلال بعض البحوث المتقدمة في فلسفة الدين أتضح أن الإنجيل والتوراة الموجودة الآن هي نقل لتلاميذ نبيي الله موسى وعيسى ، وليستا نفس النص الذي جاء به موسى وعيسى عن الله.لذا نلاحظ التفاوت والتغاير والتبديل بين فترة وأخرى.في متون النصوص.

(20) درست لسنوات في الجامعات الأكاديمية وفي الحوزة العلمية ولا أزال، وشاهدت ورأيت وسمعت المئات من الأسئلة والإشكالات من الطلاب ترتقي إلى مستوى عالي من الإدراك والوعي.

(21) يعد علم الكلام من إبداعات العقل العربي – الإسلامي ، ومن نتاج الحضارة العربية الإسلامية بامتياز.

(22) الدكتور عبد الجبار الرفاعي – علم الكلام الجديد وفلسفة الدين – ص٦

(23) خالد توفيق - بحث حول الإمامة- حوارية مع السيد كمال الحيدري - ص ٦.

(24)هذا المبحث هو محاولة جديدة وجادة لبدء مشروع بناء منظومة علم الكلام الجديد.

(25) أن أساس أي بناء معرفي لابد أن يتم على أساس النقد العلمي للموروث بصورة كاملة، نقد الموروث يعني نقد الأسس العلمية التي بني عليها هذا الموروث، أن النقد لا يعني الترك بل يعني التكامل معه من حيث نقده، أي أن الموروث يشكل وعيا ثقافيا وعلميا وذاكرة لأمة ما، فنقدنا لمدونات الفقه والفلسفة والأصول ونحوها،فالموروث يبقى موروثا ولكنه يغدو بعد النقد جزء من الذاكرة الثقافية للأمة، أي لا يعود يشكل هاجسا أمام الباحثين والمهتمين هل نتركه أم نأخذ به ونحاول إصلاحه، أن دعوات الإصلاح أي أصلاح الموروث لم تعد ذات جدوى، المطلوب الآن هو نقد ذلك الموروث ومحاولة بناء نظام معرفي جديد.

(26) ما ذكر أعلاه هو صورة من مجموعة صور قد تبلور هذا الفهم.على أنني ناقشت في الكتاب الذي أعده الآن عن الصورة النمطية العديد من القضايا المهمة ذات الصلة بما قلنا.

(27) من طريف ما يذكر بين علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف أن الشيخ الطوسي مؤسس حوزة النجف عام ٤٤٨هج، كان مهيمنا على الحاضرة العلمية بقوة لمدة قرن بعد وفاته فلا يستطيع أحد أن يتجاوز نظرياته في الفقه والأصول والعقائد حتى ظهر أبن إدريس الذي كسر تلك القاعدة وألغى المقدس.

(٢٨)ينظر- الشهرستاني – الملل والنحل..
عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق..
جعفر السبحاني – الملل والنحل.

(٢٩) رغم وجود بعض الفرق التي تكفر الآخرين لكن هذا لا يعني أنها القاعدة التي ينبغي علينا إتباعها أو أن نثقف لها ونحمل الآخرين على قبولها.

(٣٠)ننوه هنا إلى أن مقولة الحياة الآخرة هي مقولة تعبدية، أي أن أخبار الأنبياء لوجود هذه الحياة وتصديقنا بهذا الأخبار هو الذي عبدنا بهذه المقولة، وإلا فإن العقل يعجز عن إدراكها، نعم قد يصل العقل إلى عبثية النهاية بدون غاية معينة.